تقدمة

الى مكتبة الجامعة الاميركانية في بيروت

من

الطلبة المسلمين فيها

في ٢٧ شباط سنة ١٩٢٢

STS: P77c
395: K19jA

J. LIB.
8 DEC 1979

7 JUN 64

J. LIB.
8 DEC 1979

64

27 Dec 69

395
K19jA

جوامع الآداب

في اخلاق الانجاب

تأليف

فقيد العلم والادب السيد الجليل والاخلاقي النبيل العلامة الفرد ونابغة هذا العصر الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه جمعها ÷ رحمه الله في فنون التهذيب والآداب ومطالب التربية الحقة للعموم لاسيما ابناء النشأة الحديثة وفيها نبذ هامه ومباحث جمة في مايلزم لنهوض الهيئة الاجتماعية الى الرقي والمدنية الفاضلة وبيان مايمس اليه حاجة الامم في هذا العصر من المهمات

تنبيه

قد اختصنا المؤلف رحمه الله بحقوق طبعها واذن لنا في نشرها في حياته وذلك بأثر من قلمه محفوظ لدينا

الطبعة الاولى

29882

طبعت على نفقة البحاثه عن الكتب النفيسة الاسلامية حضرة الفاضل الجليل

محيي الدين صبري الكردي

وذلك بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٩ ﻫ الموافق سنة ١٩٢١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم * وألهمه أن يزكى نفسه بالخلق الكريم * وأفضل الصلاة والتسليم * على من أثنى عليه ربه بأنه على خلق عظيم * سيدنا محمد خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين *

﴿ أما بعد ﴾ فان علم مكارم الاخلاق والشمائل * وتقويم النفوس بمحاسن الآداب والفضائل * من العلوم المهمة * التى هى أساس نجاح الأمة * فان على الاخلاق الفاضلة مدار المدنية والعمران * وترقي الانسان * وصلاح البلدان * ونمو مدارك العلم والعرفان * كما أن بالأخلاق السيئة الهلاك والدمار * والخزى والعار * اذ هي السموم القاتلة * والمهلكات العاجلة * والمخازى الفاضحة * والرذائل الواضحة وقد أرشدت الى الاخلاق الفاضلة الشرائع الالهية * والقوانين الحكمية على الاطلاق * وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الاخلاق *

ولما دوّن فى ذلك جليل الاسفار * وجميل الآثار * رأيت أن أجمع فى كتاب أهم ما أثر منه عن السلف * وأكمل ما نقل عن الخلف عناية بالنابتة الذين هم أطفال اليوم ورجال الغد * واحتفاظاً بما يكسب لهم ولقومهم ووطنهم الفخار والمجد ﴿ وسميته جوامع الآداب فى اخلاق الانجاب ﴾ ورتبته على سبعة أبواب ، متوجة بمقدمات ، ومذيلة بخواتم ، ومن الله التوفيق وعليه التكلان *

مقدمات

(١) ﴿ معنى الخلق ﴾

الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً * يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الظاهر والباطن * فيراد بالخلق الصورة الظاهرة * ويراد بالخلق الصورة الباطنة . — وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر * ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة * ولكل واحد منهما هيئة وصورة * اما قبيحة واما جميلة . فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر * ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه إذ قال تعالى (انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين * والروح الى رب العالمين * والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد * فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعاً . — سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً * وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة ـ سميت الهيئة التى هي المصدر خلقاً سيئاً (١)

---

(١) الغزالى

(٢) ﴿ قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة ﴾

يزعم بعض من يستثقل المجاهدة والرياضة : أن الاخلاق لا يتصور تغييرها : ولو صح ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات * وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن * اذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الانس * والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والتخلية * والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد . وكل ذلك تغيير للاخلاق فأجدر بالانسان أن يتغير بالرياضة خلقه — وذلك بأن لا يقهر هواه العقل ولا يغلبه * بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه وذلك ممكن فانه ربما يستولى الغضب على المرء بحيث لا يقوى علي دفعه وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال — وهو المراد بتغيير الخلق فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لاشك فيها (١)

(٣) ﴿ مفتاح السعادة تربية الافراد على العلم والعمل ﴾

قال حكيم : لما كان شرف الانسان بالقوة المدركة * لزم تهذيبها لتكفّ صاحبها عن المساوئ وتدفعه الى المحاسن * فتتمهد أمامه مسالك الحياة * وتتوفر له أسباب السعادة * فيعيش فى الرغد والهناء* والا تسلطت عليه المساوى * وانغمس فى الشهوات * وضل عن سبيل

---

(١) الغزالى

الالفة والتحاب . وأنس بالجهل واستطاب الخمول * ومن الثابت أن المرء اذا حسنت تربيته . وتم تهذيبه * كانت أعماله قويمة وأخلاقه مستقيمة * واذا فسدت تربيته انعكست أعماله * وساء خلقه * وسعادة مجموع الامة متوقفة على تربية الافراد * فاذا تهذب الافراد وتربوا على الفضائل وأخـذوا بأصول الدين تهذب المجموع وصاروا أعضاء جسم واحد وخير التربية ما كان من حال الصغر * اذ يكون الانسان مستعداً بالفطرة لقبول الخير . وتقويم أود النفس * كالغصن اللين فى مبدأ نموه اذا قومته استقام لهذا كان من الواجب القيام بتربية الاطفال وتلقينهم دروس الآداب والحـكمة منذ نعومة الاظفار *

(٤) ﴿ حاجة العلم الى الاخلاق الفاضلة ﴾

الرجال بالاعمال . والاعمال آثار الصـفات والاخلاق . وبذلك يتفاضل الناس لا بالعلوم وحـدها أو أجازات المدرسين أو شهادات المدارس فحسب . وذلك لان العلم وحـده لا يكفي لجعل الرجل عظيما فى قومه . نافعاً لامته ووطنه . فان العلم آلة تديرها الاخلاق . فاذا كانت أخلاقه فاسدة كان علمه كالسيف فى يد المجنون يضرّ به ولا ينفع . فالرجل لا يكون عظيما الا بعلومه الـكاملة . وأخلاقه وأعماله الفاضلة . (١) وبالجملة فيجب أن يعلم أن الانسان وان كان هو بكونه انسانا أفضل موجود فذلك بشرط أن يراعى ما به صار انساناً وهو العـلم الحق .

(١) لحـكيم شريف بزيادة

والعمل المحكم . فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل ولهذا قيل [الناس أبناء مايحسنون] أى مايعرفون ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة . (١)

الباب الاول في أدب النفس

كل من أعار الوجود نظرة البصير علم أن حاجة المرء الى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة لان الانسان الى الشر أميل منه الى الخير والى الشهوات النفسية منه الى الكمالات الروحية فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه . وتحليته بالمحاسن والفضائل وتطهير نفسه من المساوئ والرذائل فيصبح محمود الاقوال والافعال مثالا للفضيلة والكمال . وهاك شذرة مما يلزمك أن تتخلق به من آداب نفسك :

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، لا تستخفن بفاضل شريف ، لا تميلن الى سخيف ، لا تقولن هجراً لئلا يسقط قدرك ، لا تفعلن نكراً لئلا يقبح ذكرك ، اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك مابطن ، ويحرك من عدوك ما سكن ، فكلام الانسان بيان فضله ، وترجمان عقله ، فاقصره على الجميل ، واقتصر منه على القليل ، واياك وما يستقبح من الكلام ، فانه ينفر عنك الكرام ، ويوثب عليك اللئام ، اياك واللجاج فانه يوغر القلوب ، وينتج الحروب ، فاقتصر من الكلام

(١) الذريعة للاصفهانى

على مايثبت حجتك ، ويبلغك حاجتك ، ومن قال بلا احترام ، أجيب بلا احتشام ، لا تعود نفسك الا ما تحظى بأجره ، وتحمد على ذكره واياك ومحاجة من يملكك قهره ، وينفذ فيك امره ، يستدل على رزانة الرجل بقلة نطقه ومقاله ، وعلى فضله بفضل علمه واحتماله ، فاكرم اخوانك ، واكثر خلانك ، واكفهم لسانك ، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان ، تعام عما تسوءك رؤيته ، وتغاب عما تضرك معرفته ، ولا تشر على من لا يقبل منك ، ولا تجب عما لا تسئل عنه ، واذا عاتبت فاستبق ، واذا صنعت معروفاً فاستره ، واذا صنع اليك فانشره واذا أذنبت فاعتذر ، واذا أذنب اليك فاغتفر ، فالمعذرة بيان العقل والمغفرة بيان الفضل ، لا تزهد فى رجل عرف فضله ، وجرب عقله ، ولا تعن قوياً على ضعيف ، ولا تؤثر دنياً على شريف ، ولا تشر بما يعقب الوزر والاثم ، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم ،

كرّم نفسك وعرضك من مضاحكة المجان والمساخر ، ومن لا يبالى بما يقابل به من ضروب الاستخفافات التى تلحقه فهو من شرار الناس واحفظ لسانك من المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فان ذلك يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجرّ الوحشة ويؤذى القلوب ، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتقاطع ، ويثير الحقد فى القلوب ، إتق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما ، وتوقر من غير كبر وتواضع من غير مذلة ، ليكن ضالة عقلك التى ينشدها ونجعته التى يرتادها الحق فاحكم به ولو على نفسك ولا تكن ممن تأخذه العزة بالاثم

فلا يصغى الى الحق لكونه صدر عمن هو أدنى على ما يعتقد ، بل العاقل يأخذ الحكمة حيث وجدت وليس فى الحق صغير ولا كبير ولا تحاب صديقك فى الحق فان الحق أجدر بالصداقة منه *

اجتهد فى محو الخرافات (١) والاوهام والتصورات الباطلة فانها تفسد الملكات وتدل على الجهل بحقائق الامور واطرح المبالاة بكلام الناس لما تتوخاه من الحق فان السلامة من طعن الناس غاية لا تدرك ومن راض نفسه على السكون الى الحق وتبين أن ألمه فى اول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه اشد من اغتباطه بمدحهم له ، ومن لا عدو له لا خير فيه ولا منزلة أسقط ممن لا عدو له لانها منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها عافانا الله *

لا تقبل سلطة فكرة الا بعد فحص دقيق فان كل ما أبطل ببرهان ضرورى فليس بحق * وكل ما ثبت ببرهان فمعارضته شغب فاجتنبها وليكن مرجعك الى الحق ومنزعك الى الصدق فمن أضعف الحق وخذله أضعفه الباطل *

عليك بالنشاط فى العمل وترك البطالة والكسل ولا تكن كلا على غيرك فان الرجل كل الرجل من يأكل من كسبه ويشرب من ورده أقدم على جلائل الاعمال مع الصبر والثبات واحمل نفسك على معالى الامور والتشبث بأحسن الاعمال والامور العظام والتهاون لنيلها

(١) جمع خرافة ويراد بها كل ما نافى الدين الصحيح او الواقع أو ما لا يقبله العقل السليم

بالآلام فان الكسل من النقائص التى توجب الخسائس والشرور وتدل على ضعف فى ادراك صاحبها وحطة فى نفسه ومن رضى بالدون التحف بالخمول وفاتته معالى الامور وآذن بصغر نفسه وقصر همته وضعف غريزته وقد قيل [اذا رقدت النفس فى فراش الكسل استغرقت فى بحر الحرمان] لا ترغب فى سرعة العمل وارغب فى اتقانه ولا تؤخرن عملا عن وقته فان الوقت الذى تؤخره له عمل ولست تطيق ازدحام الاعمال فانها اذا ازدحمت دخلها الخلل * ولتكن اوقاتك عندك كلها بيعاً فالوقت من أسمى مواهب الخالق التى لا يمكن استعادتها متى فاتت فلا تتصرف فيه بما يؤسفك على فواته ، من هم أقل منك معرفة وأدنى درجة ينبغى أن لا تكثر معهم اللجاجة ولا تخالطهم الا بقدر الحاجة احذر من صحبة الفارغ فانه يفتك بوقتك ولا فتك الوباء فالمخالطة تؤثر والطبع سراق * فاصحب الخيار * وما وراء كثير من اللغو الا اضاعة الوقت سدى وقطع مراحل الحياة على غير هدى *

الوقت الذى تمضيه فى أداء الواجبات الاجتماعية ليس بوقت ضائع لان حب الغير ومعاونته والعمل على نشر العلم وتقليل وطأة الفاقة كلها من دلائل السعادة *

التزم وظيفة من الجزء النظرى والعملى لا تخل به البتة * ولتجرى النفس مجرى الرياضة التى تلزم فى حفظ صحة البدن * وأطباء النفوس أشد تعظيما لها فى حفظ صحة النفس وذلك لان النفس متى تعطلت من

النظر وعدمت الفكر والغوص فى المعانى تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا ألفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة قرب هلاكها ، لان فى عطلتها انسلاخاً من صورتها الخاصة بها ورجوعاً منها الى رتبة البهائم وهذا هو الانتكاس فى الخلق نعوذ بالله منه * واذا تعود الحدث الناشئ من حداثته الارتياض بالامور الفكرية واحتمل ثقل الروية والنظر وأنس بالحق ونبا طبعه عن الباطل وسمعه عن الكذب حتى اذا بلغ أشده وانتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها وتشرب ما يستودع منها فوصل الى سعادتها *

احرص على سعادة غيرك فان اجتهادك فى اسعاد غيرك اسعاد لنفسك وقصر جهدك على اسعادك لنفسك اشقاء لها وذلك لانه اذا سعى كل فى نفع غيره توفر النفع للجميع واذا سعى كل لمجرد نفع نفسه اضر بغيره فتوفر الضرر للجميع *

عليك بترتيب أعمالك وأوقاتك فان الترتيب فضيلة تحمل صاحبها على الاهتمام والعمل بما رتبه لنفسه وهى تنشط النفوس وتريح البال ويكون صاحبها مستجمعاً لفكرته محافظاً على وقته * عليك أن تنام باكراً وتستيقظ من السحر فتؤدى العبادة المفترضة وتأخذ فى التهيؤ للدرس بالمطالعة والحفظ ولا تشتغل بالمباحث التي لا شئ فيها الا الحيرة اقرأ من المجلات والصحف السيارة ما تبلغه قدرتك ولا تغادر منها حرفاً فالبصير البصير بزمانه واعتن بفحص كل الامور صغيرها وكبيرها

لا تفرح الا بما تأتيه من جليل الاعمال فان النفس اذا كبرت استشعرت الخلود فعملت من الجميل ما يبقى على الازمنة المتطاولة واذا نقصت لم تحفل بمستقبل من الازمنة ولا بجميل من الفعل فآثرت عاجل الانتفاع على جل الذكر ضن بالحكمة عن بثها لمن لا يدريها وصن درر المعاني عن ابتذالها فان ما تألفه ألسن الضوضاء يذهب منه رونقه *

ألق عدوك وصديقك بوجه طلق * واعط كل ذى منصب حقه من التعظيم ولا تعظم جاهلا فان تعظيم الجاهل تقوية له على الجهل ولا تحضر مجلساً يبخس فيه حق الكريم ويكرم اللئيم ولا ترض بان تنزل منزلة لست لها بأهل فانه ليس شيء أضر على الدين والدنيا من تصدر غير الاهل فى مكان الاهل * ليكن مجلسك هادئاً وحديثك موزوناً مرتباً واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك وفرقعتها والعبث بشاربك ولحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك والتمطى والتثاؤب فى وجوه الناس فى الصلاة وغيرها * اصغ الى الكلام الحق ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته * واسكت عن المضاحك والحكايات . لا تحدث عن اعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك اذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر فى جهتك *

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو فى حال المرض وبادر بالتحية والبشر من تلقاه * واكتم بؤسك واجعل شكواك لمن يقدر على غناك ولا

تحضر منازعة فانك لاتخلو من قسط من أذاها ولو بالمطالبة باداء الشهادة اياك والانبساط فانه عورة من عوراتك فلاتبذله الا لمأمون عليه حقيق به لاتتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تتبذل تبذل العبد * ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحداً على ظلم * لا تعلم أحداً من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم وان رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط . وأجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ليكن لك فضل عزلة فان كثرة الخلطة مجلبة الابتذال *

إصغ لمن ينتقد عليك واهجر لمن يطريك بما ليس فيك فان من أظهر عيبك أراد تهذيبك ومن عرفك نقصك أرشدك للفضيلة ولا تغتر بمن يطريك ولما تبلغ الكمال * اذا يئست من التغلب على مناوئك فاسلك معه سبيل المحاسنة دفعاً للشر بالمخاشنة فليس من الحزم أن تصارع القوى وأنت ضعيف وتكافح الكمى وأنت أعزل وتعاكس مجرى الظروف وطبيعتها ما ترى *

ومما يروى عن على عليه السلام [اياك وفعل القبيح فانه يقبح ذكرك ويكثر وزرك * إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم * اياك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك * إياك ومصادقة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك * اياك ومصادقة البخيل فانه يقعد بك أحوج ما تكون اليه * اياك والسفه فانه يوحش الرفاق * اياك والعجل فانه مقرون بالعثار * اياك والبطنة فمن لزمها كثرت أسقامه وفسدت أحلامه * اياك والاعجاب وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص

الشيطان * اياك ومستهجن الكلام فانه يوغر القلوب * اياك ومذموم اللجاج فانه يثير الحروب * اياك أن تستسهل ركوب المعاصي فانها تكسوك فى الدنيا ذلة وتكسبك فى الآخرة سخط الله]

[عليك بالحكمة فانها الحلية * عليك بالحياء فانه عنوان النبل * عليك بالسخاء فانه ثمرة العقل * عليك بالاناة فان المتأنى حرى بالاصابة * عليك بحسن الخلق فانه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة * عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال عليك بالصدقة تنج من دناءة الشح عود نفسك الجميل فانه يجمل عنك الاحدوثة ويجزل لك المثوبة * عود نفسك حسن الكلام تأمن الملام]

[كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء * كن للمظلوم عوناً وللظالم خصما كن للود حافظاً وان لم تجد محافظا كن بطىء الغضب سريع الفىء محباً لقبول العذر كن مؤاخذاً نفسك مغالباً سوء طبعك واياك أن تحمل ذنوبك على ربك كن بأسرارك بخيلا ولا تذع سراً أودعته فان الاذاعة خيانة كن حسن المقال جميل الافعال فان مقال الرجل برهان فضله وفعاله عنوان عقله كن صموتاً من غير عى فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل كن بعدوك العاقل أوثق منك بصديقك الجاهل كن متصفاً بالفضائل مبرأ من الرذائل]

[لا تأس على مافات لا تقولن مايسوءك جوابه لا ترغبن فى مودة من لم تكشفه لا تزهدن فى شىء حتى تعرفه لا تضمن مالم تقدر على

الوفاء به لا تخبر بما لم تحط علماً به لا تأمن البلاء فى أمنك ورخائك لا تعدن شراً ما أدركت به خيراً لا تعدن خيراً ما أدركت به شراً لا تتكلم بكل ما تعلم فكفى بذلك جهلا لا تمسك عن اظهار الحق اذا وجدت له أهلا لا تنظر الى من قال وانظر الى ماقال لا تستكثرن العطاء وان كثر فان حسن الثناء أكثر منه لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تلاح الدنىء فيجترئ عليك لا تظن بكلمة بدرت من أحد سوءاً وأنت تجد لها فى الخير محتملا لا تعدن صديقاً من لا يواسى بماله لا تعدن غنياً من لم يرزق من ماله لا تزدرين العالم وان كان حقيراً لا تعظمن الاحمق وان كان كبيراً لا تسرعن الى ارفع موضع في المجلس فان الموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تحط عنه لا تفرحن بسقطة غيرك فانك لا تدرى ما يحدث بك الزمان لا تغترن بالامن فانك مأخوذ من مأمنك لا تبهجن بخطأ غيرك فانك لم تملك الاصابة أبداً لا تتبعن عيوب الناس فان لك من عيوبك ان عقلت ما يشغلك أن تعيب أحداً لا تعود نفسك اليمين فان الحلاف لا يسلم من الاثم لاتعود نفسك الغيبة فان معتادها عظيم الجرم * لا تيأس من الزمان اذا منع ولا تثق به اذا أعطى كن على أعظم الحذر * لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل * لاتخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة وعبرة تفيدك عصمة * لا تسىء الخطاب فيسوءك الجواب * لاتحارب من يعتصم بالدين فان مغالب الدين محروب (١) لا تغالب من لم يستظهر بالحق

(١) فى القاموس حربه حرباً كطلبه طلباً سلبه ماله فهو محروب

فان مغالب الحق مغلوب لاتجهل نفسك فان الجاهل بنفسه جاهل بكل شئ * لا تستعمل الرأى فيما لا يدركه البصر ولا يتغلغل اليه الفكر لا تنابذعدوك ولاتقرع صديقك * واقبل العذر وان كان كذباً * ودع الجواب عن قدرة وان كان لك * لا تترك الاجتهاد فى اصلاح نفسك فانه لا يعينك عليها الا الجد لاتضيعن حق أخيك اعتماداً على ما بينك وبينه فليس لك بأخ من أضعت حقه لا تكونن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً * لا تكثر الضحك فتذهب هيبتك ولا المزاح فيستخف بك لا تكثرن العتاب فانه يورث الضغينة ويدعو الى البغضاء * لا تكثرن الخلوة بالنساء فيملنك وتملهن * واستبق من نفسك وعقلك بالابطاء عنهن لا تكن فيما تورد كحاطب ليل وغثاء سيل * اقبل النصيحة ممن نصحك وتلقاها بالطاعة ممن حملها اليك * واعلم أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب الا أوعاها للحكمة ومن الناس الا أسرعهم الى الحق اجابة

الباب الثانى

﴿ فى ادب الدرس وفيه مطالب ﴾

(١) ﴿ المدارس وأساتذتها ﴾

لا يخفى أن الغاية من تشييد المدارس هي نشر العلوم والمعارف واخراج الناس من ظلمة الجهالات الى نور الهداية والعرفان وايجاد

الملكات الصالحة فى الصغار وتنمية العواطف الدينية وتقويتها فيهم وتأهيلهم علماً وعملا للجهاد فى هذه الحياة واخراجهم منها وقد ربى فيهم الكمال الروحانى والتعبد الدينى والذوق السليم وحب المعرفة وتمكنت فيهم ملكة البحث والاستدلال وقوى فيهم الميل الى مطالعة سير العظماء وما أتوا من عظيم الافعال فمن أخص واجبات معلميهم والحالة هذه أن يكونوا قدوة حسنة لهم وأن يقووا فيهم وهم فى بدء نشأتهم حب العمل وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة وأن يربوهم على احترام كل عظيم وحب الحق والعدل والعفة والصدق وكرم الخلق حتى يكونوا أعضاء حية نافعة فى جسم المجتمع الذى يعيشون فيه

(٢) ﴿أدب المعلم والمربى﴾

المعلم — وهو الاستاذ والمؤدب والمربى : انسان أكملته التربية يحاول أن ينقل صورته ونظام أحواله الى غيره ليكون خلفاً منه فلم يمنح حق سياسة التهذيب لاظهار جلاله ورغبة فى تعظيمه ولكن ليدير شؤون تلامذته ويبحث عن الطرق المهمة لافادتهم فمن أهم آدابه التواضع ومجانبة العجب فان التواضع عطوف والعجب منفر وأن يدع التكلف لما لا يحسن وأن لايستنكف من تعلم ما ليس عنده وأن يستقل ما أوتيه ليستزيد وأن لايتصنع بما أدرك وأن لايجهل من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز بها قدر حقها وأن يكون من شيمته العمل بعلمه

وحث النفس على ان تأتمر بما يأمر به ، وان يكون فى مشيه وسكونه واشارته بالتحية وفى منظره اذا تبسم ،وفى منطقه اذا تكلم مايشير الى وقاره وكمال عقله ، وحسن خلقه ، سيما فى المجامع والمحافل ، وان لاينقطع عن العلم الى العمل ، فان نوم العالم خير من عبادة الجاهل ، وان لايخل بتعليم مايحسن ، ولا يمتنع من افادة مايعلم فان البخل به لؤم وظلم ، والمنع منه حسد واثم * وفى التعليم زيادة العلم ، واتقان الحفظ * وان يقرأ من متون كل فن ابلغها عبارة ، واجمعها قواعد ، واوضحها مقاصد * وان يقصد التاليف القديمة لانها اسهل موردا واغزر مادة ، مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية* وليترك الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولاحساب للوقت *

وان يتجنب منها ماهو كالالغاز والاحاجى ، وما يحوج الى عناء فى حل تراكيبه وعلله * وان ينظر فى الشروح المطولة والحواشى نظرة المطالع تقوية للفهم لاقصد الدراسة ، ضنا على الزمن ان يصرف فى موضوع واحد يفوته من جرائه فنون شتى * وان ينقب طول حياته عن اهم المؤلفات واقربها فائدة وابدعها اسلوبا * فاذا ظفر فليسع بطبعها رجاء تعميم نفعها ، وان ينظر فى شؤن تلامذته ، ويمهد لهم سبيل المجد والارتقاء * وان يكون لهم مثال العقل ونموذج الوقار والصلاح * وان ينصح لهم ، ويرفق بهم ويبذل المجهود فى رفدهم ومعونتهم ، وان لايحقر ناشئا ، ولا يستصغر مبتدئا، ولا يعنف

متعلما . وان يوجه ذهن الطالب الي تعقل المسائل وفهم المعانى من اقرب الوجوه ، متجنبا الاحتمالات البعيدة وتكلف التعاسيف ، وان يحضر درسه قبل القائه فيراجع مايحتاج لمراجعته من الكتب لتصحيح الفاظ وتحقيق بحث ، وان لا يأتى للطلبة فى اثناء الدرس بما يشوش الفهم ، فلا يغرب بالاكثار من الاعتراضات اللفظية والجواب عنها بالاحتمالات فان ذلك مضيعة للاوقات * وان لا يخلط مسائل علم بمسائل علم آخر الا ما جاء عرضا وتوقف عليها فهم المقام ، وان لا يمنع طالبا ولا يؤيسه ، لما فى ذلك من قطع الرغبات ، وان يمرنهم على المناقشة فبها يصل المتعلم الى المطلوب * قال بعضهم . وهى طريقة سقراط ، وتسمى طريقة التحاور ، — وهى ان لا يلقن المعلم الطلبة مايريد من الاحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب او يقلدوه مجرد تقليد فى فهمها ولكن لا يزال معهم فى اخذ ورد وبحث وتمثيل ، حتى يصل بهم الى ما يريد * وان يمرنهم ايضا على القدرة على التعبير عما يدركونه بعد ايضاح الموضوع لهم ايضاحا تاما * وان يمرنهم على اثبات المدعى بالبرهان الصحيح الثابت الذى لا يقبل النقض لتجرى نفوسهم فى حركة المعقولات ، ويحيي فيها قوة التأمل والتعقل حتى تصير ملكة راسخة * وان يقتلع جذور التعصب من قلوب المتعلمين ، ويجبهم الى الانصاف ، فان التعصب سبب تفريق الناس بعضهم عن بعض ، وجذوة حجب العقول عن الحق . والانصاف راحة لانه يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف

(٣) ﴿أدب المتعلم﴾

من اهم آدابه ان يسترشد بمعلم حبير ناصح حكيم . سمح بعلمه متأن فى تعليمه * وان يرغب فى العلم رغبة متحقق بفضائله واثق بمنافعه * وان يكون الباعث له طلب مرضاة مولاه والعمل بوصاياه * وان لايطلبه لمراء او رياء . فان المماري به منبوذ لاينتفع . والمرائى مرذول لايرتفع * وان يبتدأ بأوائل العلوم ليتدرج الى آخرها * ومن لم يحسن البداية وساوى ذوى النهاية * يرى فى لغط مضل اوغلط مذل وكان ممن رضي بخداع نفسه * وقنع بمداهنة حسه * وان لاينى فى طلبه * وان ينتهز الفرصة به * فربما شح الزمان بما سمح . وضن بما منح * وان لايدعوه ما استصعب عليه الى تركه * فان ذلك مطية المقصرين * وان يكثر من المذاكرة ليستفيد مالم يعلم * ويحفظ ماعلم . وان لايؤيسه تبلد ذهنه ونبو فطنته * فان الدأب يذلل الصعاب ويدك الهضاب * وان لايلهيه عن طلبه كثرة مال وجدة ولا نفوذ امر وعلو منزلة فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج وان لايمنعه كبر سنه وتقصيره فى صغره عن الجد فى اعلاء منزلته بالتعلم فى كبره * وان لاتصده شؤن كسبه عن اخذ حظ منه * وان تكون سيرته الشخصية ملائمة لشرف العلم والدين * وان يحرص على كتابة كل مايسمعه من تحقيق فى بحث * وحكمة فى تشريع * ونكتة غريبة فى بابها * وقصة

بديعة كما كان عليه السلف (١) وخلدوا لهم بذلك ذكرا لا ينسى * وان يعتني باجادة خطه * وبملكة سرعة القلم . وحفظ الكتابة من التحريف * وان يصحب معه على المدى مذكرة (دفترا) فى جيبه * ليكتب خواطره ونفيس مايسمعه من اى شخص كان * فان اهمال الفوائد خسارة كبرى « والعلم صيد والكتابة قيده »

(٤) *(أدب المتعلم فى درسه)*

عليه ان يكدّ فى النظر نفسه ، وان يكثر من المقروء درسه * وان لايضجر من معاناة الحفظ ومراعاته . وان لايغفل عن تقييد نفائسه بالكتابة ثقة بما استقر فى ذهنه * فان الشك معترض والنسيان طارئ * وان يبحث عن الحقائق * ويربى قوة حركة فكره فى المعقولات لينمو عنده الشغف في العلم ومن اهم مايوصى به الثبات والصبر * وعدم التقلب والتضجر * وكل عمل في الوجود فهو محتاج للثبات بنسبة ما فيه من المشاق ، وما يحول دونه من العوائق التى لا يزيلها الا المثابرة عليه والثبات له ، فان الدنيا ميدان تتسابق فيه الهمم ، وتتبارى عليه الامم ، فمن سبق فاز بالحسنى وكانت يده فى

---

(١) نقل العلامة الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » عن أبى حاتم السجستانى انه كان يكتب عن الاصمعى كل شئ يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه : انت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة : فقال ابو حاتم وهذا أيضاً مما يكتب اهـ

الوجود هى العليـا . ومن قصر كانت يده هى السفلى ، وعاش عيشة الاذل الادنى ، وانما ينال السـبق بالثبات ، وليس من سبيل للنجاح الا بالاجتهاد ، وقد حكى ان كسرى سئل * أى أولادك أحب اليك قال : أرغبهـم فى الادب ، وأجزعهم من العـار ، وأنظرهم الى الطبقة التي فوقه ، وما الطف قول بديع الزمان في نصيحته لابن أخته : [أنت ولدى مادمت والعلم شأنك ، والمدرسـة مكانك ، والمحبرة حليفك ، والدفتر اليفك ، فان قصرت ولا اخالك ، فغيرى خالك ، والسلام]

(٥) ﴿ أدب المتعلم مع أستاذه ﴾

عليه أن يبدأه بالتحـية ، ويقل بين يديه الـكلام ، وان يتملق له ليستخرج مكنون علمه ، ويتذلل له لينال دوام صبره عليـه ، ويرعى مقامه رعاية الوالد ، ويبالغ فى خدمته وعرفان حقه واكرامه ، ويجلس بين يديه فى غاية الادب والانتباه والاصغاء والسكوت ، لا يلعب بيديه ولا يخبط برجليه ، ولا يلتفت الى ورائه ، ولا يشتغل بمحادثة غيره ، ولا يبادر الى تحية أحد قبله ، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يقول فى معارضة قوله قال فلان بخلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى انه اعلم بالصواب من استاذه ولا يشاور جليسه ، ولا يناجيه فى مجلسه ، ولا يلتفت الى الجوانب ، ولا يكثر عليه عنـد ملله ، واذا قام قام له ، ولا يتبعه بكلامه وسؤاله ، ولا يسأله فى طريقـه الى أن يبلغ منزله ، وليحذر الانبساط معه وان آنسه ، والأدلال عليه وان تقدمت

له صحبة ، وان لا يدعوه جودة ذكائه على اعنات معلمه ، والازراء به. وان لا يغلو فى تعظيمه غلواً يبعثه على قبول الشبهة منه والتقليد فيما أخذ عنه . حتى يرى قوله دليلا وان لم يستدل . وان اعتقاده حجة وان لم يحتج . ويفضى به الى التسليم الاعمى . بل لا بد من النقد بمحك النظر . وقبول ما رجحت صحته بميزان الحق . وان لا يستحى من السؤال فى موضعه ازالة لشكه ونفياً لشبهته . وان يستمر فى تلقى الكتاب الذى ابتدأ فيه على الاستاذ الذي شرع فى تلقيه عنه حتى يتمه . وان لا ينتقل الى أرقى منه قبل اكماله . وان يأخذ حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل . ولا يطلب الصيت باتباع الوجهاء من العلماء اذا كان النفع بغيرهم أعم . وان لا يطلب البعيد منهم اذا سهل القريب ورب امرء يتبع من بعد استهانة بمن قرب . فلا يدرك محبوباً ولا يظفر بطائل . وفى المثل : « العالم كالكعبة يأتيها البعداء . ويزهد فيها القرباء »

(٦) ﴿أدب المتعلم فى محفل الدرس بين يدى المعلم﴾

يلزم الطالب ان يجلس فى محفل الدرس بوقار . وان يصغى الى تقرير الاستاذ بأذن واعية . وان ينظر الى الاستاذ حين القائه . وان ينظر فى الكتاب اذا قرأ منه الاستاذ . وان يجتنب الالتفات ساعة الالقاء يمنة أو يسرة . وكذا محادثة احدا والاشارة اليه أو امره بالتقدم أو التأخر . وليهتم بشرح استاذه وتفهمه حرصاً ان يتفلت بغفلته شئ

منه . وان يجتنب اجابة سائل للاستاذ قبله . فان المبادرة لذلك زلة كبرى يتحتم تجنبها . وان يصغى لمن سأل اصغاء تاماً وان يتجنب الهزء بمن زل فى سؤال . أو كان مثله واضحاً لا يهتم فيه . فان الافهام تتباين . وان يحذر مسابقة الاستاذ فى القائه اذا وقف لتنفس أو تأمل . وان لا يضحك بلا داع ولا يبدى مضحكا . ولا يتغامز مع أحد ولا يمزح معه . ولا يسوق حكاية أو نادرة او امرا مما جرى له . وان يسكن لمن استعاد شرح الاستاذ ولم يتفطن للبحث ولا يتضجر منه . وان يدافع النوم مدافعة العدو الالد . وان يفسح للقادم ويبش له . وان لا يجمد فى وجهه . وان يقدم ذا الفضل عليه . وان لا يقوم لداخل الا اذا قام الاستاذ وان لا يعتب على من زجره الاستاذ أو أنبه . ولا يشمت به ولا يحقد عليه . وان يقفل باب الخصام والشحناء مع أخيه . وان لا يكلم غير استاذه . فلا يسمح له بمخاطبة غيره . ولا يجيبه الا لضرورة يفوت الامر بتأخيرها . وان لا يجيب من استوضحه البحث . بل يستمهله الى فراغ الدرس . وللطالب ان يكتب ما القاه الاستاذ باذنه . ويشترط عرضه عليه بعد . ولا يسوغ للطالب ان يحكى مباحث الدرس لمن لا يدرى قيمتها . ومن اعتاد مكانا فى المحفل فسبق اليه سقط حقه . فلا يزاحم لاجله لان المتخلف يجلس حيث انتهى به المجلس . وليحمل كتابه فى يده اليمنى . وليحذر وضع الكراس فى الجيب أو الطوق . بل يوضع في محفظة دوماً ويزجر القادم للدرس بلا كتاب ويؤنب . ولا يضع فوق الكتاب دواة

ولا خرقة ولا يمتهن شيئاً . وللطالب ان يسأل فى الموضوع بادب استفهاماً لا جدلا . والطالب حر فى ابداء رأى ـ فى مسألة ـ يعرضه على الاستاذ ليفحصه . ولا يجادل الاستاذ فى رأيه . وعليه ان يقف عند اشارته . ويعمل بنصيحته . ويذعن له اذعان المريض للطبيب لانه مؤتمن . وللطالب ان يستعيد المسألة مراراً بأدب وعقل . وينبغى ان يعلم الطلبة انهم اخوان حب واستفادة وخروج من ظلمة الجهل الى نور العلم فليتراحموا وليتآلفوا ولا يتخالفوا والمودة نسب ورحم . والاخوة فى الله آكد من وشيج الرحم . فليناضلوا عن صاحبهم بالمدافعة عنه وحفظ غيبته . وعليهم أن يعرفوا للذكي والمحصل قدره ولا يعاتب من ترك الحضور ولا يحرص على صحبته (١) وليجتنب الطالب الاعتياد على كثرة الجدال والحوار فيمقت ويضيع الصواب عليه ومن قدم الى الدرس فلينزع طيلسانه وما يغطى جبهته واذنه ولا يجلس منحنياً فان من اعتاد انحناء رأسه ومنكبه ضاق صدره وتغور بطنه وضعفت عضلات ظهره وكلما تقدم فى العمر يزداد هذا العيب فيه فنصب القامة هو اللازم وفيه تقليل تعب العضلات ولذا كان المنتصب يقدر ان يقف زماناً طويلا ويمشى مسافة بعيدة ويشتغل اكثر من المنحنى * وعلى الغنى ان يتفقد البائس من اخوانه وعليهم أن يسألوا عن الغائب فيعاد لمرض ويهنأ لفرح ويعزى لمصيبة ويشاطر فى الأسى ومن قعد عن ذلك فلا ثقة به ويمحى اسمه من دفتر

(١) هذا فى الدروس المطلقة . وأما المقيدة بمدرسة فلا يهمل فى مواظبته على الحضور بل يراقب فيها *

الصادقين فى الاخوة ومن تبين أنه فاسد الاخلاق والآداب فيتحتم طرده*ومن مخائل النجابة أن لا تكاد تبدر من الطالب بادرة الا وهو يعض أنامله ندماً على تفريطه فى جانب الادب والعلم لما يشعر به من تأنيب ضميره قبل تأنيب أستاذه فتراه يحرص بعدها على أن يكون قدوة فى الطاعة والامتثال وحسن السير شعوراً منه بان وازع الادب يزجره ويناقشه الحساب على كل ما يفرط منه . وجدير بمن درس هذه الآداب وتحلى بها أن لا يمضى عليه ردح من الدهر حتى يصبح رجلا فى العزم والقول والعمل واقفاً من أسرار الحياة على مالم يكن ليعرفه ناشئاً على أمتن الدعائم التي أسس عليها بناء الشريعة السمحاء عاملا بما علمه من ثمار آدابها « ولكل عصر حاجيات ولكل طور من أطوار الامم النامية كماليات لا بد من استيفائها كلما تدرجت الامة فى معارج الارتقاء وجرت فى ميدان الفلاح والتقدم على السنة الفطرية التى تدور حول محور هذا الكون البديع النظام »

(٧) ﴿ أدب الفتى مع رفقائه فى مدرسته أو محلته ﴾

رفقاء الفتى فى المحلة وفى المكتب والمدرسة هم أقرب الناس اليه بعد والديه واخوانه واقاربه ويراهم أكثر من غيرهم فيلزم أن يعاشرهم بالمعروف ليدخل عليهم السرور برؤيته وتنشرح صدورهم من ملاقاته ويكلمهم بالمعروف ويقابلهم بالبشاشة واللطف ويساعدهم على دفع المضرة وجلب المنفعة بالطرق الحسنة ولا يقابلهم بمكروه ولا يتكلم

فى حقهم بما يكدر الخاطر ولا يسلط عليهم مؤذياً ولا يعاشر منهم سيئ الخلق قليل الادب معتاداً على أمور ذميمة . ومن سابه فلا يجبه الا بالنصيحة والنهى عن السباب وان لم ينته احترز من ملاقاته بالمرة واستعان باخوانه الكاملين على تهذيب أخلاق ذلك المسكين ولا يطيل النزاع فانه يجر الى أقبح منه ولا يتعاظم على رفقائه ولا غيرهم ولا يخبرهم بما يكرهون أو بأمور خرافية غير معقولة ولا مقبولة لئلا ينفروا منه ولا يصح أن يخبر أحداً بما يقع فى بيته من أبيه وأمه أو أحد اخواته لانه يكون خائناً لا يكتم السر فيستخف بعقله ويهزأ به ولا يصرف اوقاته مع رفقائه الا بما يعود على نفسه وعليهم بالمنفعة . ولا يترك درسه او صنعته او قضاء مصلحته لاجل ان يبسط رفقائه . فانه يكون كالبخور يعطر الناس ويحرق نفسه * اي ينفع الناس ويضر بنفسه . وهو عمل لا يليق بالعقلاء . وينبغى له ان يسابق اخوانه فى المدرسة والمكتب الى فهم الدروس ومعرفتها . ويجتهد فى ان يتقدمهم ويساعدهم على التعلم وتكون له غيرة ونشاط فى الحفظ والفهم وتكون له مذاكرة مع اقرانه ومباحثة علمية * ومن ناقشه اقنعه بالدليل بعد التأمل الكافى واستعمال غاية الادب * ومن ظهر خطؤه وان الحق مع غيره فلا يعاند ولا يكابر بل يمتثل للحق ويشكر صاحبه الذي علمه . وبالجملة فما احسن حال التلميذ الذى يهتم بدروسه بكل دقة واحتراس ويسابق اخوانه حتي يكون من احاسن طبقته : وما اسوأ الذى يكون

بليداً متكاسلا فاقدالغيرة من اخوانه المتقدمين عليه الفائقين فى المعرفة لانه لا يزال محروماً متأخراً *

ولا يجوز تضييع الزمن فى الهزل والهزء والسخرية والكلام السمج الذى يسمونه «التنكيت» الخارج عن حدود الادب فان هؤلاء المنكتين يناله‍م الذل والصغار واحتقار العقلاء لهم فيكبرون وهم الاصغرون كما أنه لا ينبغى ان يكون الطالب عبوس الوجه بادى الكمد والنكد فان هذا يضره وينفر الناس عن معاشرته ومصافاته ويجعله ثقيلا على القلوب مكروهاً فى النفوس * والخروج عن الاعتدال مذموم فى كل شئ بل يلزم ان يكون بشوش الوجه ظاهر النشاط والانبساط يضحك عندما يوجب الضحك لا عند كل شئ ويكون ضحكه التبسم بلا رفع صوت وعليه ان يكون نظيف الوجه والعينين واليدين وسائر البدن والثياب فان الوسخ بغيض للناس تسرع اليه الامراض وضيق النفس وليحذر من مسح الحبر بثوبه لئلا يقذره ولا بفمه لئلا يحصل له ضرر مما عساه يوجد فيه ولا يعتاد دلك عينيه بيده ولو كانت يده نظيفة فان العين لطيفة لا تحمل كثرة الملامسة والدلك وليطرد الذباب عنه فانه كثيراً ما يكون فى الاشياء القذرة فيحملها برجله فيقذر ما يصيبه او يضره ولا ينبغى ان يطأطئ رأسه ويثني رقبته في مشيه أو قعوده كالذليل الجبان بل يستعمل النشاط والهمة فى جميع الافعال فيرفع رأسه على الاستقامة ويعدل قامته ويقوم ظهره ولا يقوسه ولا يسرع فى المشى جداً

ولا يبطئ بل يتوسط ويكون الى السرعة اقرب ولا يتكسر في الكلام ولا يكثر فى القول حتى يثقل على النفس ولا يتركه بالمرة كالاخرس بل يتكلم اذا اقتضاه ويسكت اذا اقتضاه ولا يتكبر ويخاطب بغلظة ولا يمتهن نفسه بالدناءة والمسكنة وزيادة تعظيم الناس فوق الحد المقبول فان الخروج عن الحد جهل وغلط وخير الامور الوسط *

(٨) ﴿ مكافأة المجتهدين ﴾

تهتم المدارس العليا لوضع أنواع المكافأة للمجتهدين من طلبتها فى مقابلة احسانهم رغبة فى حملهم على النشاط والمثابرة على العمل وفى احداث الغيرة فى نفوس التلامذة لان المتعلم المجتهد حريص على الارتقاء ومن طبعه مقارنة نفسه بغيره فمن المكافئات ترفيع الاماكن وتوجيه الامتيازات المدرسية واهداء تحف وقطع أدبية والمدح والثناء الا أنه لا يسوغ الاطراء فيه ولا الاكثار منه حتى يكون له وقع فى النفوس وهذا مرجعه حكمة المعلم وعقله *

(٩) ﴿ مجازاة المسيئين ﴾

كما دعت الضرورة الى وضع أنواع للمكافأة الحسنة كما قدمنا كذلك هناك ضرورة الى وضع أنواع للمجازاة على الاساءة حذر الوقوع فى مخالفة القوانين المدرسية فمنها : اللوم . والتعزير . والمنع من الفسح والرياضة . والتكليف بحفظ شئ أو كتابته جملة مرات . وهذا

الاخير مفيـد اذا كان سبب العقاب اهمال التلميذ دروسـه * وآخر العقوبات الطرد ولا يصار اليه الا اذا لم يفد غيره ويجب على المعلم أن يكون حكيما فى مجازاته أديباً فى عباراته مجانباً فحش الكلام وبذاءته فى الزجر فان لذلك أضراراً . منها : اعتياد التلميذ على حفظها فيشيب على ما شب عليه . ومنها : ايراث الغل والحقد فى نفسه اذا توالى على سمعه الحط من كرامته أو كرامة أهله والمبالغة فى احتقاره وازدرائه ومنها انقباض نفسه عند رؤية المعلم والاجتماع به مما يدعو الى الخيبة وعدم النجاح بسبب عدم استفادتهم منه اذ هو الذى صرف ميولهم عنه وكره اليهم طلعته وسماع صوته يقول بعضهم مذيلا هذا الموضوع لقد مضى زمن طويل لم يعرف من أنواع التربية الا العقوبات البدنية حتى أتت هذه السـنون الاخيرة فتصدى كثيرون من علماء التربية للطعن فيها حتى ان كثيراً منهم سماها التربية الوحشية غير اننا نريد البحث فى انه هل من حاجة اليها فى بعض الاوقات واذا كان الامر كذلك فما هى تلك الاوقات التى توقع فيها ؟ ثم اجاب قائلا :

اجمع علماء التربية على ان استعمال العقوبات البدنية ضرورى فى بعض الاحوال اى فيما اذا ارتكب التلميذ ما ينافى الآداب والسلوك الحسن * اما فى مثل انتهاكه حرمة قانون من قوانين النظام المدرسى فانه يكتفى بغير ذلك من انواع العقوبات ويكفى فى تقدير العقوبة حزم المؤدب وتبصره * ومن المعلوم ان تكرار العقوبات البدنية يدعو الى

التنافر بين المعلم والمتعلم مما لا يرجى معه نجاح ولا فلاح لان المتعلم متى انقبضت نفسه عن معلمه انقبضت نفسه عن كل شئ يلقيه اليه ذلك المعلم أو يسمعه منه *

الباب الثالث في الآداب المنزلية

﴿ وفيه مطالب ﴾

(١) ﴿ الادب مع الوالدين ﴾

هو أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل امرهما ولا يمشى أمامهما ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ويلبي دعوتهما ويحرص على مرضاتهما ويخفض لهما الجناح ويحسن اليهما جهده ويبرهما ويكرمهما فى حالتى عسره ويسره ويتوخى مسرتهما وترويح قلوبهما ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر اليهما شزراً ولا يقطب وجهه فى وجوههما ولا يسافر الا باذنهما*

(٢) ﴿ الادب مع الاخوة من النسب ﴾

يلزم الفتى أن يتأدب معهم ويحترمهم ويعرف أنهم أقرب الناس اليه بعد الابوين ويحب لهم النفع والشرف أكثر من جميع الناس * فأما أخوه الأكبر فانه يجعله فى منزلة أبيه فلا يرفع صوته عليه ولا ينازعه ولا يخالفه فى وصاياه الجميلة ليكسب حبه ويسعى فى منافعه * واما الذين هم أصغر منه فيواسيهم ويشفق عليهم ولا يضربهم ولا يشتمهم ويلاطفهم

ويستجلب محبتهم بحسن الاخلاق ولطف المعاملة * واذا رأى منهم مالا يليق فعليه أن ينهاهم باللطف والمعروف ويعرفهم ضرره ولايسعى بهم عند أبيه بالفتنة فتكثر الكراهة بينهم ويألفون الشر ويعتادونه بسببه فيعود الوبال عليهم وجلّ أن أخوة المرء هم أعوانه على سعادته وحسن حاله*

(٣) ﴿أدب الخدمة ومعاملتهم﴾

يجب فى الخادم أن يكون صالحاً عفيفاً أميناً نشيطاً ذكياً فهو يقوم بحق الله بأداء ما أوجبه وحق من يخدمه فيعف عن حرمه ويغض من طرفه ويحفظ ما ائتمن عليه من مال وغيره ويخف للقيام بما يطلب منه بنشاط واعتناء ويفطن لما ينبغى أن يراد منه فيدرى حسنه من قبحه وغشه من نصحه فيكون رجل حياة وانسان معيشة

وعلى سيد الخادم أن يرشده لمواقع الصواب وأصول واجباته وماينبغى أن يتصف به * ولا يكلفه مالا يطيق ولا يشق عليه وأن يربيه باللطف والعقل ولا يهينه ببذئ الكلام وجافى اللفظ مما يجرح قلبه ويذل نفسه اذ ليس للسيد ان يتسلط على خادمه بذلك لا شرعاً ولاعرفا

ويجب على السيد أن يسمح للخادم بساعة فى النهار يتروح فيها ويتمتع بشؤنه وأن يجرى عليه مرتباً يكفيه ليكفه عن التشوف لما قد يسرقه ويختلسه فان ما ينقصه السيد من مرتبه ربما اختاس من ماله وأن يزيد فى راتبه كلما رآه يزيد فى صدق الخدمة وحسن المعاملة ولا

ينبغي للسيد ان يسرع فى تبديل الخادم بمجرد هفوة اوحصول صغيرة وليتذكر أن لامعصوم الا المعصوم فان فى تبديله مضارا عظيمة واتعابا جسيمة * نعم اذا علم ان فيه خلة فاسدة او ملكة رديئة او إصراراً على فحشاء فانه يطرده عن بابه ويباعده من رحابه *

وعلى الابناء ان يحتفظوا بخادم ابيهم اوجدهم وان يحترموه لتقادم خدمته لهم وتربيته لهم صغاراً وان يرعوا حقه وحق آله واولاده إعترافا بالجميل *ومن الحمق وقلة العقل طرد الخادم الذى تقادم عهده واطلع على دخائل سيده واسرار حرمه بلا باعث كبير اوابعاد خادم ابيه وقد عرف شدة اتصاله به فان هذا من لؤم الطبع وكفران العشرة وقلة المروءة

وبالجملة فكل من اراد ان يهنأ باله مع خادمه فليحسن معاملته ولينزله منزلة احد عائلته وليبره فوق ما يأمل ولا ينل منه بما يجرح قلبه وليرفق به فى سره وعلنه وليغض عما يجوز الغض عنه وليرحم تعبه ولا يؤرقه لحاجته اذا أخذ مضجعه بل يشفق على راحته *

ويحكى عن بعض خيار الامراء انه كان يحمل فرش ضيوفه على رأسه ليلا الى محال نومهم ولايوقظ خادمه لحملها شفقة منه ورحمة والراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى *

(٤) ﴿ الادب فى الزواج والسن المرعىّ فيه[1] ﴾

الزواج قانون حيوى عام لجميع السلسلة الحيوانية وهو صرورى

(١) من كتاب صحة المرأة

لحفظ النوع الانسانى وتقدمه ولم يجتمع فى شئ ما اجتمع فى الزواج من دواعى الشرع والعقل والطبع * فأما دواعى الشرع فقد نص عليه الكتاب والسنة والاجماع * وأما العقل فان كل عاقل يحب أن يبقى اسمه ويخلد ذكره ولا يتأتى ذلك الا بالذرية * وأما الطبع فانه يدعو الى تحقيق ما أعد له من المباضعة *

واذا كان الزواج ضرورياً لحفظ النوع الانسانى وبقائه ، فلا يخلو كذلك من فوائد عظيمة للشخص المفرد ، وذلك انه يبعده عن ارتكاب الجرائم والتلوث باردان الدنايا والخسائس ، والمرأة أحوج من الرجل لانه صون لها ، وأعون على صحتها فى الحال والاستقبال ، ولا خوف عليها من أخطار الأمومة مادامت الفوائد الصحية متبعة كل الاتباع

ولما كان أهم أغراض الزواج هو التناسل للحصول على الذرية لبقاء النوع الانساني وتقدمه ، فمن البديهي أن يبتدأ الزواج من السن الذى يشعر فيه الانسان بالحاجة التناسلية ، وأن يكون سن الزواج للمرأة ليس أقل من (١٤) سنة ، ولكن لا يجب تأخيره عن ذلك كثيراً *

وان تقدم الزواج عن ذلك كان عديم الفائدة ومضراً أحياناً للمرأة ولأولادها لجملة أمور : (منها) ان الاعضاء التناسلية لم تكن قد بلغت حدها النهائى فى النمو . (ومنها) ان البنات المتزوجات صغيرات السن عن الحد الذى قررناه يكون زواجهن فى الغالب أقل اخصاباً — أى أقل نسلا — وأولادهن تكون حياتهم قليلة من غيرهم . (ومنها) ان

المبكرات فى الزواج لا يتوفر فيهن الشروط الجسمية والعقلية اللازمة للزوج والامومة ، وكلما تأخر زواجهن كلما اكتسبن تجارب تؤهلهن للزواج . (ومنها) ان النساء المتزوجات وهن صغيرات نسبة الوفيات فيهن أكثر منها فى المتزوجات فى السن المعتدل . (ومنها) ان صغر الام فى العمر ينشأ عنه ضعف فى الطفل ، وخصوصاً فى الولد البكرى . واذا تأخر الزواج الى ما بعد الخامسة والعشرين أو الثلاثين يكون الحمل والولادة فى الغالب أكثر تعباً على المرأة ، لان الاعضاء تكون قد انتهت من النمو وثبتت فى أوضاعها ، وصار أى تغير فى أوضاعها متعذراً ولا يخلو من خطر ، والولادة عندهن غالباً تكون عسرة *

وعلى العموم فان الشبوبية والتقدم فى السن كلاهما يضعف التغذية فى النسل ، وأولادهم يغلب فيهم الضعف ونقص القوة الحيوية . ومن الضرورى جداً أن يكون الزوج أكبر من الزوجة لجملة اعتبارات : (منها) ان الرجل ينمو ببطء عن المرأة . (ومنها) ان المرأة تنتهي حياتها التناسلية سن اليأس قبل الرجل بكثير . (ومنها) أن الرجل لا يكون له السلطة التامة عليها اذا كان أصغر منها . (ومنها) أن الرجل اذا كان فى سن العشرين مثلا يكون قد أسس له مركزاً معاشياً يسمح له بالزواج ، والمرأة بعد اليأس لا تتزوج أصلا لان الغرض من الزواج وهو التناسل مفقود منها .

(٥) ﴿ أدب المرأة الأيم والمتزوجة ﴾

عليها أن تلازم بيتها ، وأن لا تكثر من طلوعها ، وأن لا ترتدى الا بما له لون واحد ، وتجتنب المزركش الكثير الالوان . وتجتنب شد وسطها ، وما يحاكي حجم بدنها ، وتجتهد فى تغطية وجهها بالحجاب ، ولا تستعمل الشفاف(١) وان تحرص على الشغل والعمل ، وما يعين على دفع الفاقة والملل ، وان تحفظ بعلها فى غيبته وحضرته ، وتطلب مسرته فى جميع أمورها ، ولا تخونه فى نفسها وماله ، ولا تخرج من البيت الا باذنه بهيئة لا تستلفت أبصار الناس اليها ، ولا يشم منها رائحة عطرية ولا تتعرف الى صديق بعلها فى حاجاتها . بل تتنكر على من يظن انه يعرفها أو تعرفه . وأن يكون همها صلاح شأنها وتدبير بيتها . مقبلة على مهماتها وعباداتها . وأن لا تكثر الكلام مع اجنبي من وراء حجاب وأن تقصر لسانها عن مراجعة الزوج وأهله . واذا مات زوجها فلا يجوز لها ان تحد عليه (٢) أكثر من اربعة اشهر وعشر . وتجتنب الطيب

---

(١) لا يزال عقلاء الامم التى تبيح رفع الحجاب ، تئن من كشف النقاب ، إذ دلتها المثلات ان ذلك مجلبة لما لا يحصي من المخزيات والمنكرات . وقد أرشدتها الحوادث المتكررة بقوارع تتفتت منها الاكباد ، وتذوب الاحساسات حسرات * قص بليغ حادثة مؤثرة منهاثم قال فى أثرها : فيا أيتها الغادة المستترة بحجاب الادب ، حيي الجدران التى تحرسك ، وقبلى القناع الذى يحفظ وجهك ، من ألحاظ الغدر ، وسحر النواظر القاتلة . سلام على تلك القيود التى تربط شهامتك ، سلام على ذلك الحجاب الذى يرفع جمالك الى أوج الواجب . ويا ليت تلك القيود وذلك الحجاب يعمان الارض بأسرها ؛ إذ يعرف الناس ماهية الشعائر ومحور مدار الكائنات (٢) أحدت المرأة امتنعت عن الزينة

والزينة فيهن والتعرض للزواج *

(٦) ﴿أدب معاشرة الزوجة﴾

يلزم حسن الخلق معها ، واحتمال الاذى منها ، وكف الضرر عنها والحلم عند طيشها وغضبها ، والمداعبة تطييباً لقلبها ، وان لا ينبسط فى الموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ، وتسقط هيبته عندها ، فلا يدع الانقباض ما رأى منكراً ، ولا يفتح باب المساعدة مارأى محظورا وان يعتدل فى الغيرة فلا يتغافل عما تخشى عواقبه ، ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن . وان يعتدل فى النفقة فلا يسرف ولا يقتر ولا يتبعه منة ولا اذى ، وان يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك ، ولا يستأثر عنها بمأكول طيب فانه شح موغر للصدور ولا يخبرها بقدر ماله ، ولا يستكتمها سراً يخاف اذاعته . وان يتعلم من علم المحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب . وان يعلمها من العبادات والآداب ما لا تستغنى عن معرفته . وان لا يكلفها من خدمته فوق طاقتها . ومن عنده اكثر من زوجة واحدة فعليه العدل بالسوية ومجانبة الميل الى بعضهن . واذا اراد سفراً اقرع بينهن . وليحذر الفقير من الجمع بين زوجات وهو لا يستطيع الانفاق عليهن (١) اذ لا يزال

والخضاب بعد وفاة زوجها فهى محد وكذا حدت تحد بضم الحاء وكسرها حداداً بالكسر فهى حاد ولم يعرف الاصمعى الا الرباعى أي أحدت اه مختار

(١) ما احسن ماجاء فى الاقناع وشرحه - من كتب الحنابلة - من قوله : ويستحب ان

معهن فى نزاع على النفقات وسائر حقوق الزوجية . وقد لا يطلقهن ولا واحدة منهن ، ولا يزال الفساد يتغلغل فيهن وفى أولادهن ولا يمكن له ولا لهن أن يقيموا حدود الله . وضرر ذلك بالدين والامة غير خاف على احد *

(٧) ﴿أدب الفتاة﴾

يلزم وليها ان يعلمها الكتاب العزيز بحسن اداء ، ثم ما يصحح عقيدتها ، وعبادتها من أصول العقائد والفقه . ثم ماوجب عليها والديها واولادها وبعلها ، وما أبيح لها وما حظر عليها ، وما تضطر اليه من ادارة نفسها وبيتها وبنيها كالخياطة وترتيب المنزل ، وادارة صحة بنيها وآدابهم ، وصلاح المأكل والملبس ، واصول الاقتصاد ومكارم الاخلاق وما أشبه ذلك مما يجعلها قرة عين الكمال . ولقد صدق القائل : ان الفتاة المتعلمة المهذبة فخر لاهلها . وعون لبعلها . وكمال لبنيها . أهلها بها يفتخرون . واولادها بها يسعدون * ومن ذا الذى لايسر فؤاده بابنته الاديبة التى تدبر الامور المعاشية بالمعرفة . وتدير الحركة المنزلية بالحكمة . ويجد فى مجالستها أنيساً عاقلا . وسميراً كاملا *

وعلى وليها ان يزوجها من الاكفاء الاخيار ذوى الدين والمروءة الذين يتوسم فيهم اسعاد زوجاتهم . وما الطف قول الخوارزمى : حق

لايزيد على واحدة ان حصل بها الاعفاف لما فيه التعريض المحرم ، قال تعالى : «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » اهـ جزء (٣) ص (٤)

كافل الكريمة ان لا يزوجها حتى يستكرم صهرا . او يحكم مهرا *

(٨) ﴿ أدب الاطفال ﴾

اجمع الباحثون فى احوال العمران . ونواميس المدنية . على ان التربية والتعليم هما الوسيلة الوحيدة . والواسطة العظمى فى ارتقاء الامم على مذسات الحضارة ، وبلوغها ما تطمح اليه من الآمال الكبار . لذلك كان من اهم واجبات الامة التى تجعل بلوغ مثل هذه الامنية نصب عينيها . ان تكل امر تربية أبنائها وتعليمهم الى رجال الدين الذين يطبعون فى فطرة الناشئ اصول الفضائل وآداب الشريعة . ويلقنونه دروس الحياة ، ويرقون عواطفه ويربون شعوره . فاذا فارقت الآباء هذا المبدء فوسدت الامر الى غير اهله ، واسندت وظائف التعليم الى غير أكفائه من اعداء دينها . فلا تلبث أن يلم بمزاج مجموعها ما يضعفه وينمى جراثيم الداء فيه فتظهر اعراضه عليه فتصبح فى حضيض خسران الدنيا والآخرة * فالتربية الدينية هى أس الفضائل وروح الاجتماع الحيوى

(٩) ﴿ الاهتمام بتربية الطفل المنزلية ﴾

اذا لحظ المرء ما ينجم من التربية المنزلية يجد انه كما يكون الاهل يكون الطفل فى الغالب . فان كانوا ذوى نظام وطباع كريمة شب الطفل كذلك لما علم من انه ميال للتقليد والمحاكاة . وان كانوا جهلاء اغبياء وذوى خمول او ضعف فى العزيمة شب الطفل على ذلك . فمن هذا يعلم

ان تربية البيت اما ان تكون عضداً وساعداً للمعلم فى المدارس ، واما ان تكون عقبة كؤوداً فى سير التربية المدرسية *

(١٠) ﴿ تدارك من يراد تربيته قبل تأثير الوراثة فيه ﴾

تقرر فى سنة البشر ان الفروع كما ترث من اصولها جانباً من الصفات الجسمانية كذلك ترث منها كثيراً من الطبائع الخلقية . فلقد تجد اولاد الرجل الابله كأبيهم . وابناء العاقل الداهية كذلك . ولا حاجة الى ايراد البراهين على ذلك . لانه يكفى فى اثباته ادنى التفات الى دراسة اصول العالم الذى نحن بين ظهرانيه . نعم قد لا يطرد ذلك كلياً ، ـ لان لكل قاعدة شذوذاً الا ان القصد التنبيه على انه وان كان فى الحدث طباع موروثة الا ان المربى الحكيم يمكنه ان يهذب منها ما فسد . ويقوم ما اعوج وان احتاج الى عناء زائد وجهد كبير على شريطة أن يتدارك ذلك قبل ان تتمكن تلك الوراثة الفاسدة وتصير ملكة . ولذا قلما تفيد التربية في الكبير *

(١١) ﴿ العناية بتأديب الصغير ﴾

قالت الحكماء : ينبغى ان يؤخذ الولد بالادب من صغره . فان الصغير أسلس قياداً واسرع مؤاتاة . ولم تغلب عليه عادة تمنعه من اتباع ما يراد منه . ولا له عزيمة تصرفه عما يؤمر به . فهو اذا اعتاد الشيء ونشأ عليه خيراً كان أو شراً ـ لم يكد ينتقل عنه فان عود من

صباه المذاهب الجميلة والافعال المحمودة بقى عليها ويزيد فيها اذا فهمها وان اهمل حتى يعتاد بما تميل اليه طبيعته مما اغل عليها او عود اشياء رديئة مما ليس في طبيعته ، ثم اخذ بالادب بعد غلبة تلك الامور عليه عسر انتقاله مع الذي يؤذيه . ولم يكد يفارق ماجرى عليه . فان أكثر الناس انما يؤتون فى سوء مذاهبهم من عادات الصبا *

(١٢) ﴿ آداب عامة للصغير ﴾

قال الحكيم المستعصمى : (١) يجتنب النوم الكثير فانه يقبحه ويغلظ ذهنه ويميت خاطره . (٢) يمنع من الفراش الوطىء وجميع انواع الترفه حتى يصلب بدنه بتعود الخشونة . (٣) يمنع من اعتياد الامكنة الباردة صيفاً ومن النيران شتاء . (٤) لا يسرع المشى . (٥) لا يتثاءب بحضرة غيره . (٦) لا يضع رجلا على رجل . (٧) لا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد رأسه بيده فانه دليل الكسل . وانه قد بلغ به التقبيح الى ان لا يحمل رأسه حتى يستعين بيده . (٨) يعود ان لا يكذب ولا يحلف لا صادقاً ولا كاذباً . (٩) يعود الصمت وقلة الكلام وأن لا يتكلم الا جواباً . واذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له . (١٠) يمنع من خبيث الكلام وهجينه ومن السب واللعن ولغو الكلام . (١١) يعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه . (١٢) يعود خدمة نفسه ومعلمه ومن هو أكبر منه . (١٣) يعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم

(١٤) يعود ضبط النفس عما تدعو اليه من اللذات القبيحة والفكر فيها

(١٣) ﴿غرس الحب ورفع الاحقاد والاعتماد على النفس وتعلم اللغات﴾

قال حكيم : إنى لأكثر التعجب ممن يعلم أولاده ذكر الحروب والضغائن ومن انتقم ووثب على صاحبه ولا يخطر ببالهم امر المودة واحاديث الالفة وما يحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس وانه لا يستطيع احد من الناس ان يعيش بغير المودة وان مالت اليه الدنيا بجميع رغائبها *

وقال بعضهم : خليق بالآباء وان كانوا فى غنى او جاه ان يربوا أولادهم على مبدأ الاعتماد على النفس والاستقلال بأن يستعد فى حياة والديه للعمل لان الحياة لا تقوم الا بالحركة والسعى والعمل والتدبير وحسن السلوك لاصابة العلم والرزق والراحة والجاه . والسعى لحفظ ثروة يحتاط بها من الفقر من اهم ما يصل بها الى مطالب الحياة بهناء فان المستقبل صفوة الحياة . ومتى نما فيهم هذا المبدأ المذكور رفضوا المعيشة الاتكالية على الآباء التى هى اليفة الخمول والصغار . وأصبحوا يجدون فى المساعى التى توسدهم على فراش الهناء وما اللذة الا بعد التعب *

وعلى الآباء ايضاً ان يعلموهم من اللغات ما استطاعوا اليه سبيلا فانه يقال : (كل لسان انسان) و (من عرف لغتين فهو بمنزلة شخصين) ولاسيما فى هذا العصر التى اتسع فيه مجال المعاملة والعمل . وكثر اختلاط

الناس من امم مختلفة *

الباب الرابع في الآداب الاجتماعية

(١) ﴿ أدب الصحبة ﴾

قال حكيم : متى انتظمت بينك وبين احد صحبة فعليك حقوق وآداب يوجبها عقد الصحبة وهى الايثار بالمال . فان لم يكن فبذل الفضل من المال عند الحاجة * والاعانة بالنفس فى الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس * وكتمان السر * وستر العيوب * والسكوت عن تبليغ ما يسوء من مذمة الناس اياه * وابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه * وحسن الاصغاء عند الحديث * وترك المماراة فيه * وان يدعوه بأحب اسمائه اليه * وان يثنى عليه بما يعرفه من محاسنه وان يشكره على صنيعه فى وجهه * وان يذب عنه فى غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه * وان ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وان يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه * وان تدعو له فى خلوته فى حياته وبعد مماته * وان يحسن الوفاء مع اهله واقاربه بعد موته * وان يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئاً من حاجته ويروح قلبه من مهماته وان يظهر الفرح بما يباح له من مساره * والحزن بما يناله من مكارهه * وان يضمر مثل ما يظهره فيكون صادقاً فى وده سراً وعلانية * وان

يبدأه بالتحية عند اقباله * وان يوسع له فى المجلس ويخرج له من مكانه * وان يشيعه عند قيامه * وان يصمت عند كلامه * حتى يفرغ من خطابه وان يترك المداخلة فى كلامه * وان يسكت عن القدح فى احبابه واهله وولده وعن قدح غيره فيه * وان لا يخفى عليه ما يسمع من الثناء فى حقه * فان اخفاء ذلك من الحسد . وان لا يسأله اذا رآه فى طريق عن مصدره وموردة * فربما ثقل عليه ذكره او يحتاج الى الكذب وان يتجاهل عما يكرهه منه ويتغافل عن مناقشته *

أوصى أحد الحكماء ابنه فقال : يابنىّ اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك * وان صحبته زانك * وان قعدت بك مؤونة مانك * اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها * وان رأى منك حسنة عدها * وان رأى سيئة سدها * اصحب من اذا سألته اعطاك * وان سكت ابتداك * وان نزلت بك نازلة واساك * اصحب من اذا قلت صدق قولك * وان حاولت أمراً آمرك * وان تنازعتما آثرك *

(٢) ﴿أدب الاصدقاء﴾

ترفض صداقة من اشتهر بالبخل ومن اشتهر بالنميمة والثلب والسفه ومن عرف بالكبرياء والخفة والطيش وعدم حفظ السر أو اشتهر بحب الهذر والهذيان والتهتك والخلاعة والكسل ولا يقبل فى التآخى من

اصيب بخلل فى عقله ، أو شذوذ فى أفكاره ، حتى لا تسقط درجة آداب الاخوان وعلومهم . ولا يكون بين افرادهم واحد لاخير للانسانية والعمران منه . قال حكيم : احذر مؤاخاة من يجعلك أكبر همه ويؤثر ان لا يخفى عليه شىء من امرك فانه يتبعك ويأسرك .

قال الامام الغزالى : اذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك ، فراع فيه الشروط التي يصاح بها للاخوة والصداقة وهى خمس :

(الاولى) العقل فلا خير فى صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها ، وأحسن أحواله ان يضرك — وهو يريد ان ينفعك * والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق الجاهل *

(الثانية) حسن الخلق . فلا تصحب من ساء خلقه — وهو من لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة *

(الثالثة) الصلاح . فلا تصحب فاسقاً فان من لا يخاف الله لا تؤمن غوائله ، بل يتغير بتغير الاعراض والاحوال * ومشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن القلب كراهية المعصية وتهون عليه امرها *

(الرابعة) لا تصحب حريصاً . فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء . بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى *

(الخامسة) الصدق . فلا تصحب كذاباً فانك منه على غرور .

فانه مثل السراب يقرب منك البعيد . ويبعد منك القريب اه

وقال بعضهم المختارون من الاصدقاء أهل العلم والدين والحكمة والعقل ليفيدوه ويقووا قوة تميزه وعلمه . وأهل شرف يستعان بجاههم فى الملمات . وأهل ثروة يستعان بهم فى لم الشعث . وأهل محادثة طيبة فى خلواته يفزع لهم عند كربه والضجر من اعماله *

وأما أصدقاء الظاهر فينبغى مجاملتهم والاحسان اليهم . وكتمان الاسرار عنهم واخفاء الاحوال الخاصة عنهم وترك تحديثهم بنعمه *

وقال آخر : معاشرة الاصدقاء لا تتم الا بالمؤانسة والمداخلة ولابد فى ذلك من المزاح المستعذب والاحاديث المستطابة والفكاهة المحبوبة التى تطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى الاسراف فيها ولا يقصر عنها تهاوناً بها فانها اذا خرجت الى جانب الزيادة سميت مجوناً وفسقاً وخلاعة وما أشبهها من اسماء الذم والى جانب النقصان سميت مذماً وعبوساً وشكاسة وما أشبهها من اسماء الذم أيضاً . والمتوسط بينهما هو الظريف الذى يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة فى وجود هذا الوسط ما يعرض فى سائر الفضائل الخلقية *

وقال حكيم : متى حصل لك صديق يلزمك أن تكثر مراعاته . وتبالغ فى تفقده ولا تستهينن بالسير من حقه عند مهم يعرض له . أو حادث يحدث به . فأما ما فى أوقات الرخاء فينبغى أن تلقاه بالوجه الطلق

والخلق الرحب وان تظهر له فى عينك وحركاتك وهشاشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك ما يزداد به كل يوم وفى كل حالة ثقة بمودتك وسكوناً الى غيبك . ويرى السرور في جميع اعضاءك التى يظهر السرور فيها اذا لقيك وان أصابته نكبة أو لحقته مصيبة أوعثر به الدهر كيف تكون مؤاساتك له بنفسك ومالك . وكيف يظهر له تفقدك ومراعاتك ولا تنتظرن به أن يسألك تصريحاً أو تعريضاً بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه . وشاركه فى مضض ما لحقه ليخف عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فاغمس اخوانك فيها من غير امتنان ولا تطاول : فان رأيت من يحتشمك آنئذ فاجذبه اليك واختلط به وابرأ بذلك من الكبر والصلف .ثم احذر المراء مع صديقك خاصة وان كان واجباً أن تحذره مع كل أحد فان مماراة الصديق تقتلع المودة من أصلها لانها سبب التباين .وقبح أثره لا يخفى . فلا يقف مع المراء محبة ولا يرجى به الفة . نعم ينبغى ان يكون كل مرآة لاخيه ينصح بعضهم بعضاً ويرشد كل أخاه الى سبل الكمال ولا يكتم نقد ما يراه نقصاً . فمن تبادل النقد فى ساحة المودة على بساط الصفا يكون الكمال . وينبغى أن لا تؤاخذ صديقك المخلص بالتقصير ولا تجازه عليه . ولا تعاتبه عتاباً مفرطاً وادم ملاطفته وتعهد اشياءه واهد ما تستحسنه اليه واجتهد في الاكثار من الاصدقاء فان الصديق زين المرء وعضده وناصره ومذيع فضائله

(٣) ﴿أدب الجار﴾

للجوار حق وراء ما تقتضيه الاخوة . وجملة حق الجار أن يبدأه بالحسنى . ويعينه اذا استعانه * ويقرضه اذا استقرضه * ويعوده في المرض * ويعزيه فى المصيبة * ويقوم معه فى العزاء * ويهنئه فى الفرح ويظهر الشركة معه في سروره * ويصفح عن زلاته * ولا يطلع من السطح على عوراته * ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره * ولا في مصب الماء فى ميزابه * ولا فى مطرح التراب فى فنائه * ولا يضيق طريقه الى الدار * ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره * ولا يستطيل عنه فى البناء فيحجب عنه الهواء الا باذنه * ويهديه من فضل ما يجد * ويستر ما ينكشف له من عوراته * وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة * ولا يغفل عن ملاحظة داره فى غيبته * ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته * ويتلطف لولده فى كلمته * ويرشده الى ما يهمه من أمر دينه ودنياه ـ هذا الى جملة الحقوق المتقدمة *

(٤) ﴿حكايات ونوادر فى الحبّ الصادق﴾

قص بعضهم ثلاث قصص نادرة فى الحب الصادق . قال فى (القصة الاولى) تحت عنوان « الشرف الاعظم » :

﴿ ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك ﴾

﴿ ومن اذاريب الزمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك ﴾

(قال) : هذه حادثة يجب أن تكتب بماء الذهب في سائر تواريخ العالم المتمدن لتظهر بعض واجبات الاخ الى أخيه اذا ألمت به ملمة . في الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٩١ خرجت مفاخرة اخوان من القوة الى الفعل * وتجللت محبتهم برداء الشجاعة والاقدام في مدينة « شيكاغو » فتقدم منهم عدد كبير ليكونوا غرضاً لمدية الجراح ليقطع جزءاً من لحم ذراعهم فيلصقه على فخذ أحد اخوانهم وقاية لحياته * وضماناً لراحته * وذلك ان أحدهم أصيب بسرطان في فخذه الأيمن وامتد مقدار قدم . وكان الجراح يعتني بالمصاب . فرأى ان خير الامور أن يجرد اللحم الفاسد من مكانه ويضع مكانه لحماً آخر يسهل التحامه بالفخذ فذبح الجراح لهذه الغاية جدياً كان في دار المستشفى لتسلية المرضى وعالج المريض مدة عشرة اسابيع ، ولكن لسوء الحظ لم يلتصق لحم الجدى بفخذ المصاب ، فاضطر الجراح أن ينزع لحم الجدى ويجرب لحم الانسان ولكن من أين له بانسان يجود من لحمه بقطعة تلصق على فخذ انسان آخر ، ويحتمل عذاب القطع والسلخ والشقاء ؟ وهل في الكون من دافع يدفع قلب الانسان الى تضحية جسده مساعدة لغيره ؟ الا أنه لم يعز وجودها بين أولئك الاصحاب المتآخين ، إذ كان في مشربهم من الدافع القوى ما يقضي على الصاحب أن يبذل كل ما في وسعه لينقذ أخاه ، ويساعده في السراء والضراء ، فلما علموا ما حل بأخيهم وما

يلزم لشفائه عقدوا جلسة وتداولوا فى شأن مساعدته ، فاكتتب منهم ثلاثمائة وقدموا أجسادهم لمدية الجراح ليقطع منها ما يشاء إكراماً لاخيهم المريض وطمعاً فى شفائه ، فضرب الجرّاح ميعاداً لذلك اليوم الثامن عشر من الشهر المتقدم ، وصباح ذلك اليوم المعهود ابتدءوا يتقاطرون حتي اكتمل عددهم ، فلما رأى الاطباء كثرتهم ارتئوا أن ينتخبوا « ١٧٥ » منهم ويذهبوا بهم الى المستشفى حيث كان المصاب ، فقسموا الى ثلاث فرق . وتقدمت الفرقة الاولى الى المستشفى وفى مقدمتهم عدد من الاطباء حضروا لمساعدة الجراح فى عمليته الجراحية ، وكان الجراح قد سبق الجميع الى المستشفى ، فخدر المصاب بالمخدرات ، وغسل الجرح بالمحلولات اللازمة ، وجهز الادوية والرباطات ، ثم أفاق المصاب من غيبوبته ، ورأى بعينيه إخوانه الذين قدموا ليشاطروه الالم ، ويعاونوه على الشفاء من مرضه . فأمر الجراح بأن يبتدئ العملية والسلخ حالا حرصاً على الوقت ، فتقدمت الفرقة الاولى فشمروا عن سواعدهم . أما كيفية قطع اللحم وسلخه ، فكانت هكذا : يأتي الشخص كاشفاً ساعده الايسر فيفركه أحد الاطباء فركا شديداً ثم يغسل المحل المطلوب سلخه بالماء الحار والصابون ثم بالكحول حتى ينظف الجلد جيداً ثم يتقدم طبيب آخر فيقطع المقدار المعين من الجلد ويسلمه على رأس سكينه الى الجراح ، وهذا يضعه على فخذ المريض ، وللحال يتقدم طبيب آخر ويرش على الذراع المسلوخة مسحوقاً معداً من المخدرات لتخفيف

الهيجان ، ثم يضع قطناً مبتلا بالمراهم والسوائل ويربط الذراع ربطاً متقناً ، ثم يتقدم الثانى وهكذا الى آخر العملية . وفى مدة ساعة ونصف انتهت الفرقة الاولى * وتقدمت الفرقة الثانية فجرى برجالها ما جرى بالفرقة الاولى . وكانوا كلهم يتقدمون بجراءة عظيمة غير مبالين بالجراح الا اثنين من هذه الفرقة فانهما غطيا وجهيهما بمنديل عند مس ذراعيهما. ثم حضرت الفرقة الثالثة ولم يقطع من لحم رجالها بقدر ما قطع من الفرقتين السابقتين لان الطبيب اكتفى بما قطع فبلغ عدد الذين سلخت سواعدهم مائة وستة وأربعين « ١٤٦ » ومعدّل ما قطع من ذراع الواحد مقدار قيراط مربع • وقد استقل اصدقاء العليل واخوانه هذا القدر لانهم كانوا مستعدين أن يقدموا ما ينيف عن قدم وزيادة • وكان بينهم من أتى من مسافة بعيدة ليقدم ذراعه ضحية لاخيه • ولم تستمر هذه العملية أكثر من ثلاث ساعات ونصف . أما العليل فكان ملقى على جانبه الايسر . وكان كلما دخل عليه واحد منهم يتبسم تبسما ينوب عن الكلام فى اظهار شكره وامتنانه وكان اخوانه يشجعونه ويعزونه فى مصابه برقيق الكلام . واشترك فى هذه العملية جميع اخوانه على اختلاف أعمارهم ودرجاتهم . فمنهم : الشيخ الكبير . والرجل الحازم . والشاب النشيط الذى لم يخط عارضاه بعد . وكان منهم أعمى واحد • وغضب كثيرون من الذين رفض الاطباء قبولهم ولم يصلح صحياً • والذين خاب أملهم حينما أعلن الجراح انه ليس فى حاجة بعد الى اللحم • وهذه

المحبة التى لا توصف كانت سبباً لشفاء العليل ومابرح يشكرهم الى آخر نفس من حياته *

وقال فى القصة الثانية تحت عنوان : « النخوة والشهامة والمروءة» ما مثاله : هذه نبذة تدل على شهامة اخوان لم يضنوا بالنفس والنفيس حباً بمساعدة اخوانهم ومحافظة على عهودهم التي تعاهدوها. فقد نشرت جريدة « الينوى اودفلو » فى عددها الخامس الصادر فى ١٥ مايس سنة ١٨٩٥ ما ملخصه : دعى اعضاء محافل وعائلاتهم الى احتفال في « شيكاغو » ثم تلى رئيس الاحتفال ملخص حادثة جرت فقال : في العاشر من شهر اكتوبر (ت٢) سنة ١٨٩٤ بينما كان صديق غائباً عن منزله فى أشغاله وليس فى البيت سوى امرأته وولدها الصغير وكان نائماً فى سريره قامت والدته لتفتح درجاً وبيدها مصباح منار بزيت الكروسين فالتهب بالقضاء والقدر وسقط الزيت على الثياب فاشتعلت النيران بسرعة فذهبت الى الباب تستغيث بالجيران ففطنت الى ولدها فعادت ولفته بملاءة وحملته ولما وصلت الى الباب رأته مقفلا فلفت الولد جيداً وخرجت من احدى نوافذ البيت وكانت النار قد علقت بها ولم تشعر لعظم حرارة منزلها وشغفها بخلاص ولدها وأتت مسرعة ولم تصل الى بيوت الجيران الا والنار قد شوهتها فألقت الولد أمامهم سالماً وكانت ذراعاها وأحد جانبيها محترقة وكان لحمها يتساقط عند مسه فأطفأها الجيران ووقعت الى الارض من الألم ثم جيء بمركبة فنقلتها الى المستشفى وكانت ملفوفة بشال ولما نزع الشال

صار المنظر محزناً لان يديها من رؤوس الاصابع الى العنق والكتفين والجوانب الى الخصر ومن نصف الثديين الى الوراء منتهى قيراطين من العمود الفقرى فكانت كلها كتلة لحم محترقة تقع عند لمسها وسماكة الحرق فى بعض المواضع قيراطان وفى البعض الآخر لم يحترق سوى الجلد ثم وقعت الاظافر واكثر المواضع التى حرقت صدئت فيها المواد وشعرت بعد دخولها المستشفى — بست ساعات بحمى رافقها ألم شديد ونتج من ذلك تقرح فى المعدة والامعاء وأصيبت باسهال حاد وآلام تفوق الوصف ولا سيما لما كانوا يغيرون لها عن الحروق فانهم كانوا يمكثون ساعتين أو أكثر وكانت تعانى كل أنواع الآلام عند نزع الانسجة عن لحمها ثم ان الطبيب ومساعديه رأوا أن لا بد من تعويض اللحم الساقط من جسمها بلحم حى وعمل عملية جراحية لعل الله يمن بالشفاء فقدم زوجها نفسه لقطع ما يلزم من لحم جسده حباً بسلامة قرينته التى ضحت حياتها لاجل ولدها ولكن الاطباء رأوا انه يلزم أكثر مما يمكنهم أن يأخذوا منه فتبرع بعض الممرضات بالمستشفى بأخذ قطع من لحمهن حباً أيضاً بتلك المصابة . ولما بلغ اخوان زوجها وأصدقاؤه ما كان حركتهم النخوة والشهامة الى مشاركة أخيهم وقرينته وقبل ابتداء العملية جاؤا أفواجاً أفواجاً وهم ممتلئوا الجسم أصحاء البنية واندفعوا بكل قواهم مظهرين عواطف الحب والولاء وعرضوا أنفسهم على الاطباء ليقطعوا من أجسادهم ما شاؤوا ومن أى جهة

ارادوا لانقاذ حياة امرأة أخيهم . ولما حضروا أمام الجراح مد أولا زوجها ذراعيه وقال للطبيب خذ منها ماتشاء فقطع منها ثمانية قطع طول كل قطعة قيراطان وعرضها ثلاثة أرباع القيراط وكان يقول خذ بعد ولم يبد أقل اشارة تدل على الالم بل كان مسروراً لانه استطاع أن يضحى حياته لسلامة امرأته فأخذ الطبيب اللازم ثم قطع من صديقه ثماني قطع أيضاً ومن غيره خمساً وأتى بعدهم غيرهم يخبرون الاطباء بأخذ اللحم من أجسادهم من أى جهة أرادوا فكان الاطباء يقطعون اللحم وآخرون يخيطون مكان الجروح ويغسلونها بمزيلات الفساد وهلم جراً ومازالوا حتى عوضوا من كل اللحم المحروق فكان من جملة ما أخذوه نحو سبعمائة وخمسين قيراطاً مربعاً وهى تساوى نحو خمسة أقدام وكان جملة ما أخذ من كل رجل نحو قيراط أو أكثر والذين أخذوا من لحمهم ثمانين رجلاعدا امرأتين تبرعتا أيضاً فكانت تعزيتها باظهار حنو اخوان زوجها وسرورهم وشجاعتهم وتشجيعهم اياها مما ساعدها كثيراً على احتمال تلك العملية الغريبة النادرة المثال ولحمها مكشوف للهواء . ثم جمع منهم ستمائة ريال قدمت لزوجها لمشترى أدوات للبيت بدلا من التى احترقت وتذكاراً لحب اخوانه له ولقرينته :

(هكذا هكذا والا فلا لا * ليس كل الرجال يدعى رجالا)

(وقال فى القصة الثالثة) تحت عنوان « المشاركة فى الحياة » ماصورته من أغرب ما رواه التاريخ ومن أعظم الحوادث تأثيراً الخبر

الآتى فانه يدل على أن أخاً ضحى حياته لمساعدة أخيه ويشهد لاطباء الاميركان بطول الباع والمهارة فى صناعة الطب مرض أستاذ محفل فى « أوهايو » بسم الدم وكان محترماً محبوباً فى تلك الولاية وكان كريم الخلق سمح اليد يساعد المحتاجين ولما أشرف على الخطر تواردت الارامل والايتام على منزله يسألون عن صحته ويقدمون ابتهالاتهم الى الله ليشفيه وينذرون نذوراً قدر طاقتهم اذا شفي وعقد عدد من نطس الاطباء جلسة وقرر أحدهم أن لا أمل بنجاة الاستاذ الا بأمر واحد — وهو أمل ضعيف جداً — والواسطة هى أنه لما كان دم المريض قد سم أكثره واستحال الى دم فاسد فلا بد من تفريغه من عروقه واملائها بدم نقي من جسم صحيح . ثم قال الطبيب : ان فى العمل خطراً جسيما جداً ولكن الطريقة الوحيدة الممكن عملها . ولا شك انه يصعب جداً — ان لم نقل يستحيل — وجود من يسمح بجزء عظيم من دمه لمثل هذه الغاية . وفى مساء اليوم عينه عقد المحفل جلسة خصوصية فنهض الرئيس فيها وأبان حالة أخيهم المريض والواسطة التى ارتآها الطبيب وطلب منهم أن يتضرعوا الى الله أن يمن عليه بالشفاء . وكان أحد أصحابهم واخوانهم حاضراً — وهو فى مقتبل العمر — قوى البنية مورد الخدود صحيح الجسم فى أشده فوقف فى الوسط وقال : أيها الاخوان اننى أجود بما يلزم من دمي عن طيبة خاطر لانقاذ هذا الاستاذ فأحدق به الحاضرون وأخذوا يثنوا على شهامته وشجاعته .

ورأوا فى قوة جسمه وريعان صباه ما يؤيد قوله ثم اجتمعت لجنة الاطباء لفحص هذا البطل فوجدوه صحيح الجسم نقى الدم وحكموا أنه أهل للقيام بذلك وعليه أخذ الاطباء فى اليوم التالي فى اجراء العملية بحضور جميع اخوان المريض فبدأ الاطباء باخراج الدم من جسم المريض فى دقة وانتباه حتى أخرجوا منه القدر اللازم ثم فتحوا عرقاً فى ذراع ذلك البطل ووصلوا منه أنبوبا الي جسم المريض، فجعل الدم يتدفق من جسم الصحيح الى جسم المريض فيكسبه لونا جميلا وينعشه . ومازال البطل يجود بدمه لاحياء اخيه وهو محاط باخوانه الذين يمدحون شجاعته ويثنون عليه الى ان اعتراه دوار شديد، فنظر اليهم نظرة الوداع واشار اليهم بعينه يريد الكلام فلم يقو عليه ، ثم اغمض وغمى عليه وكان الاطباء ينتظرون ذلك فاوقفوا جريان الدم وانقسموا قسمين قسم اعتنى بالمريض وقسم بالبطل: اما الاستاذ المريض فتحسنت حالته حالا، واخذ يتقدم الي الصحة بسرعة الى ان شفى تماما وعاد الى حالته الاولى اما البطل فتأخرت صحته كثيراً واشرف على الموت وكان يقول لزائريه لست متأملا ولا متكدراً ، بل أنا مسرور لقيامى بهذا العمل ، والشكر لله ان دمي أفاد أخى فأحياه : وبعد ان بذل الاطباء كل همة في مداواته اخذ يتعافى وبدأت صحته بالتحسين وبعد ثلاثة اشهر من تاريخ تلك الحادثة المؤثرة قام من سريره وزار اخوانه، ولما سئل عن السبب في اقدامه على هذا العمل قال :لومات الاستاذ لخسر المحفل اما اذا مت أنا فلا تكون

الخسارة مذكورة ثم انهالت عليه الاكرامات والهدايا الثمينة انتهى (اقول) : هذه القصص الثلاثة وان تكن غريبة فى بابها جديرة بالاعتبار والتأسى بها فلقد دون التاريخ ماهو اعظم منها (فقد حكى الغزالى عليه الرحمة والرضوان) في باب حقوق الاخوة والصحبة — من « الاحياء » ان اعلى مراتب المواساة ان تؤثر اخاك على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك قال : وهذه منتهى رتبة المتحابين ومنتهى هذه الرتبة الايثار بالنفس أيضاً كما روى انه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم : وفيهم ابو الحسين النورى فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول : فقيل له فى ذلك فقال احببت ان أوثر اخوانى بالحياة فى هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة : (وحكى عليه الرحمة) - فى باب الايثار — عن حذيفة قال : انطلقت يوم اليرموك من ايام فتوح الشام — اطلب ابن عم لى ومعى شئ من ماء لأسقيه ان كان به رمق وامسح وجهه: فلقيته فلما أهويت لاسقيه سمع قائلا يقول آه : . . . فأشار ابن عمى ان انطلق بالماء اليه فجئته فسمع متأوهاً آخر فأشار الىّ ان انطلق اليه فجئته فاذا هو مات : فرجعت اليه فاذا هو مات ايضاً فعدت الى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم اجمعين *

وفى تاريخ « شذرات الذهب » — في ترجمة الشيخ مبارك بن عبد الله الحبشى الدمشقى احد الشيوخ الصوفية المتوفى سنة (٩٤٣) انه حج ومعه مريدوه فلما دخلوا مكة فرغت نفقتهم فقال لبعض اضحابه خذ بيدى

الى السوق واقبض ثمنه واصرفه على بقية الجماعة ففعل ذلك واشتراه بعض تجار العجم ثم أعتقه اه

ثم رأيت قصة أخرى تشابه ما تقدم (١) وهى ان امرأة مرضت واشتد بها الضعف حتى يئس الاطباء من شفائها أو تسعف بدم جديد يقوم مقام ما فقدته من الدم وكان زوجها على تمام الصحة والنشاط فأوعز الى الاطباء أن يخرجوا الدم من عروقه ويدخلوه فى عروقها لتقوى وتشفى اذ لم يكن لشفائها سبيل آخر ففحصوا دمه ووجدوه سليما وفحصوا قلبه فوجدوه قوياً فأجلسوه الى جانب زوجته وأوصلوا بين عرق من عروقه وعرق من عروقها على غير رضاها فجعل دمه يجرى من جسمه الى جسمها وللحال زال الاصفرار من وجنتيها وقوى نبضها بعد أن كان ضعيفاً لايشعر به وحاول الاطباء حينئذ أن يقطعوا الاتصال بينها وبين زوجها فمنعهم من ذلك وقال بل دعوها تأخذ من دمى كل ما يحتاج اليه جسمها ولما قطعوا الاتصال كانت وجنتا المرأة قد توردتا وأما زوجها فكان قد اصفر وأغمى عليه ولم يسترد قوته ونشاطه الا بعد أيام (٢)

---

(١) نشرها المقتطف جزء ٤ مجلد (٣٩) صفحة ٣٩٦) تحت عنوان (الحب الصادق)

(٢ قال الراوى الحادثة صحيحة والرجل من أعضاء مجلس الاعيان الامريكى وهو شاب فى مقتبل العمر وقد ترطبت الالسن بذكر شهامته والاطناب بمحبته وتضحيته نفسه لاجلها ولكن كل زوجة فى الدنيا تعرض نفسها مراراً كثيرة فى حياتها لاجل زوجها لكي تلد له الاولاد وكل زوج وكل زوجة يسفكان دمهما مراراً كثيرة لاجل اولادهما يسهران

(٥) ﴿ أدب المشى ﴾

يلزم أن يكون المشى هوناً معتدلا لاسريعاً ولا بطيئاً وأن يجتنب الماشى الخفة فى التلفت وأن يكون ناصباً للقامة لا منحنياً ولا محدوداً ولا مشبكا يديه وراء ظهره لئلا تصاب أعصاب ظهره على التقوس والانحناء . وعليه أن يكون مؤثراً ليمنى الطريق أو يسراها ليبعد عن مصادمة العجلات ونحوها موجهاً النظر الى الامام لا الى النوافذ ولا محدقاً براكبى العجلات وبالمارين مساعداً لضعيف أو عاجز أو ما يحمل على دابة متباعداً عن مواقف التخاصم منتقياً الطرق النظيفة غير مزاحم ولا ملتصق بالحيطان ولا بأحد محترساً فى الزحام على الجيب من يد مختلس متأخراً عن جليل يماشيه سائراً عن يساره *

(٦) ﴿ أدب الزيارة والزائر ﴾

الزيارة هى الواسطة الوحيدة لدوام رابطة الاخوة والصحبة الا أن كثرتها ربما كانت مجلبة للملل وقلتها مدعاة للايحاش وضعف المودة ويجب أن تكون فى غير وقت النوم وتحسن فى غير وقت الأكل * وأن يكون بملابس نظيفة وهيأة حسنة وأن يطرق الباب بلطف الى ثلاث

الليالى ويتجشمان المشاق ويحرمان انفسهما كل راحة وكل مسرة لاجل اولادهما يشتغلان ويكتسبان ليطعماهم ويربياهم ويعلماهم ويتركلهم مايستطيعون به على شؤونهم

مافعله ذلك الزوج هو مايفعله كل زوج وكل زوجة كل يوم لا باخراج رطل من الدم بل ببذل دم القلب وعرق الجبين وقوى العقل لاجل حفظ النسل فجزى الله الوالدين كل خير

وله بعدها الانصراف * ومن لم يجد المزور فليترك اسمه مع الخادم أو على بطاقة * ومن وجد الباب مفتوحاً فلا يدخل الا بعد أن يستأذن له الخادم أو يرسل معه بطاقته ولا يفاجئ المزور مفاجأة فان ذلك يؤلم من فوجئ في بدء رؤيته ومن شعر أن لمزوره شغلا أو تهيأ لحاجة فليبادر بالانصراف ولو رغب اليه بالمكث ومن وجده يناجي احداً في حديث فليعتزلهما جانباً ويتشاغل انتظاراً لفراغهما واذا وجده في كتابة أو قراءة فلا يتطلع اليها ويسأله عنها ولا يدل عليه بتفتيش أوراقه وخزانته ولا يتناجى مع غيره بحضرة المزور ولا يطيل مدة المقابلة ولا ينصرف الا باستئذان واذا وعد احداً لزيارته فلا يخلف وعده معه. وليكن حضوره في الوقت المعين . وان طرأ عذر فيجب اخباره قبل الميعاد *

ومن اللطائف ما كتبه حكيم على باب داره « ينبغي للزائر أن يشترك مع أهل البيت في أعمالهم »

(٧) ﴿ ادب المزور ﴾

يلزم المزور أن يستقبل زائره ببشاشة وطلاقة وجه وأن يصافحه ويرحب به ويظهر السرور بزيارته ويشكره على تفضله وأن لا يتقدم على زائره في مجلس وفي تناول مشروب وان لا يحدثه بالاراجيف ولا بما يسوءه * واذا بغتته نائبة أو مصيبة فليكتمها عن زائره وليتجلد في إكمال الجلسة وأن يلتفت لزائريه بالتساوي فلا يؤثر بحديثه أحدا منهم وأن يسامره بمشربه ومايهواه وأن يستسمحه في انهاء شغل ان كان لديه

ليتفرغ لمخاطبته وأن يمشى معه الى الباب وأن يرد له بعد أيام زيارته

(٨) ﴿ ادب الضيف ﴾

يلزمه الحضور فى الوقت المعين له والجلوس مع من يليق به ، وموافقة المضيف والمشى مع رغبته وأن لا يمنعه من شئ اراداحضاره ولا يتطلع الى ناحية الحريم وجهة الباب رغبة فى مجىء الطعام . ومما يعاب على الضيف أخذولده الصغير وكثرة الاكل بالشره وجرف الطعام من نواحى الوعاء وابتلاعه بصوت يسمع ونفض الاصابع واعادة بعض ما يطعمه الى الوعاء والنبهت فى وجوه الآكلين وجذب اللحم بعنف وغمس يده فيه والتطفل بتوزيعه على الآكلين ونقل الطعام من وعاء الى غيره يخلطه معه الا لصحفة لديه ومزاحمة الجالسين والتأمر على من يصف الصحون بالتقديم والتأخير وعلى المضيف بمضايقته فى فكره والتكاسل بالنهوض الى الطعام والتشاغل عمن ينهضه اليه والتشبع لدى الحضور تصنعاً والتأفف مما يرغب فيه غيره واطالة الحديث والماء يصب على يديه وسؤال صاحب الدار عن داره وعمارتها ولومه على ما يراه قصر فى هندستها واخبار من لم يدع من صديق المضيف بالدعوة واستعجاله باحضار الطعام وشكوى الجوع وأن يطلب ممن يدعوه أن يدعو صديقه وأن يدعو من يحب بغير اذن داعيه أو يتطفل بغير دعوة وهو أقبح الخلال لما فيه من تعريض النفس للاهانة والخزى والعار وأن يحدث بما كان من كلام ففيه خيانة من حضر والغفلة عن كون

المجالس بالامانة *

(٩) ﴿ أدب المضيف ﴾

أن يستقبل ضيفه بطلاقة وجه وسن ضحوك وترحيب بالغ ولقي مبهج ويحدثهم بلذيذ المحادثة وغرائب النوادر وأن لا يخبرهم بما يفزعهم وأن يكتم ما ينوبه مدة حضورهم وأن ينتظرهم قبل الميعاد ولا يملهم بالغيبة عنهم ولا يضجرهم بتأخير الطعام وأن يخدمهم ويقوم عليهم ويظهر لهم سعة الحال ويطيل الحديث عند مؤاكلتهم ويظهر رغبته فى الطعام أمامهم تجسيراً لهم وأن لا يمسك عن تأكيد الدعوة بأدنى اعتذار فيكون كالمنتظر لذلك أو المنافق فى دعواه ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان وضيق الحال بحضورهم ويسمر معهم ولا يغضب على خادم أمامهم ولا يعبس بوجهه ولا يفخم طعامه ولا يمدح طابخه ولا ينوه بندرة وجوده أو غلاء سعره أو الانفراد بعمله فان ذلك دناءة وأمارة الشح وأن لا ينتهر أحداً ولا يشتمه لديهم وأن ينزعج عند استئذانهم ويتروع لفراقهم ويسير معهم الى الباب ومما يتعين عليه تجنب الاسراف فلا يسىء التصرف ويقتل نفسه حباً فى المفاخرة *

(١٠) ﴿ أدب المهدى ﴾

رؤية الفضل للمهدى اليه واظهار السرور بالقبول منه لها والشكر عند رؤية المهدى اليه والاستقلال لها وان كثرت *

١١ ﴿ أدب المهدى اليه ﴾

اظهار السرور بها وان قلت والدعاء لصاحبها اذا غاب والبشاشة اذا حضر والمكافأة اذا قدر والثناء عليه اذا أمكن وترك الخضوع له والتحفظ من ذهاب الدين معه ونفي الطمع معه ثانياً *

(١٢) ﴿ أدب اصطناع المعروف ﴾

البداءة به قبل السؤال والمبادرة به عند الوعد والتوقير له عند العطاء والستر له بعد الاخذ وترك المنة بعد القبول والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه *

(١٣) ﴿ أدب المعاشرة ﴾

معاشر الناس ومجالسهم يلزمه البشر والبشاشة وكتمان السر وحسن الخلق وملازمة الصدق فى المقال واسعاف الصديق فى الحاجة واجتناب اللجاجة ومواصلة النصح والاقادة والسخاء بالزيارة والعيادة وخلوص الوداد فى حالتي السراء والضراء ومشاطرة الخليل فى الافراح والاحزان وتقليل العبث والمزاح وصون اللسان والمعاملة باللطف والانس واعتبار الصديق كالنفس والاغضاء عن الزلل وهجر النفور والملل وكظم الغيظ والغضب وممارسة العفة والادب .

ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر من عثرة لسانه ولا سيما اذا كان جليسه ذا هيبة وأن لا ينظر فى عطفيه ولا

يكثر الالتفات ويتحفظ من تشبيك أصابعه وتخليل أسنانه وكثرة البصاق والتمطى والتجشى وتقريب الفم من وجه المخاطب ومن العبث بشاربه ولحيته ومن التمخط الا بمنديل ومن الازعاج بالعطاس فلا يكون له ضجة وينبغى أن يصغى الى كلام مجالسه ولا يقاطع عليه كلامه ويستوعب منه القول فقد يستفيد من مجالسة الحكيم ما لا يستفيده من كتاب ويكون مجلسه هادئاً وحديثه منتظماً مرتباً مقروناً بالتروى والتحرز وعليه أن لا يتصنع تصنع المرأة فى الزينة ولا يلح فى طلب الحاجة ولا يكثر من الهزل ولا يذكر أحداً بسوء ولا يبث الاراجيف

(١٤) ﴿ أدب التكلم ﴾

الكلام معيار فضل المرء وأدبه لان فضله لا يظهر الا بمنطقه فينبغى اعتياد النطق بالحكمة بكثرة سماعها واجتناب التكلف والتعقيد وينبغى التكلم بصوت متوسط وعلى قدر اللزوم فان من رفع صوته زيادة عن العادة وقدر الحاجة نفر السامع من سماع كلامه وأوجب كراهة الناس له فلا يحبون محادثته ومؤانسته على أن كثرة الصياح والصراح توجب ضعف أعضاء التنفس ويحصل للانسان بها بحة الصوت وصداع الرأس وضعف العينين كما أن زيادة خفض الصوت توجب صعوبة سماعه وتكلف المستمع زيادة الاصغاء وربما تخفى بعض ألفاظه فلا تسمع أو تشتبه على السامع بغيرها فيفهم منها خلاف غرض قائله. فمن تمام الادب والصحة أن يكون صوت الانسان فى خطابه متوسطاً معتدلا بقدر

اللزوم لا عالياً يتعب المتكلم ويزعج السامع ولا منخفضاً جداً يضعف عن الوصول الى المسامع . وينبغي أن لا يكون كلامه بسرعة شديدة فيعسر على المخاطب تمييزه وضبطه وحسن فهمه ولا يكون بتأن زائد وبطء يمل السامع ويطول به الوقت بل يكون وسطاً ولا يكون كلامه بشدة وحدة مثل المغتاظ والغضبان ولا برخاوة وتكسر كلام النسوان ولا بتشدق ينقذف معه لعاب أو بصاق بل يكون كلامه كلام الرجال الشجعان مع بشاشة الوجه وحلاوة اللسان فكم من أمور صعبة متعسرة يسهلها عذوبة اللفظ وحسن البيان ولا يهش الى كافة الناس هشاشة تجسرهم عليه فيضيق بهم ذرعاً ولا يصبر على مايحبون منه ولا ينقبض عنهم انقباضاً يوحشه منهم ويمنعه من رفدهم ولكن ليلق الاعيان بالترحيب والمفاوضة ومن قصر عنهم بحسن اللقاء والصمت وسفلهم بالرأفة وحسن المعونة . وعليه اذا كلمه أحد أن يقبل عليه ويحسن الاصغاء اليه ولا يتشاغل عن كلامه ولا يقطع عليه القول حتى اذا خطر بباله شيء يجب أن يذكره ـ يصبر حتى يفرغ صاحبه ثم يتكلم * وعليه أن لا يذكر احداً من رفقائه الا باسمه مقرونا بتفخيم او بلقبه الذى يعجبه ويحبه ولا يسمى احداً باسم يكرهه ولا يناديه ولا يخاطبه به وعليه ان يكف لسانه عن لفظ قبيح معيب كاعضاء العورة فيكنى عنها لدى الضرورة وعليه ان يتخذ الصدق فى أقواله عادة لازمة وطبيعة دائمة فان فيه السلامة والنجاح . والكذاب فاقد الثقة بين أهله ولا صديق

له ولا يقبل قوله حتى فى الصدق وضرره يعود على نفسه وغيره وعليه اذا اضطر لمعارضته احدان يقول : لعل الشأن كذا . وعليه اذا رغب لاحد فى امر ان يسأله مايتحمله طبعه وما تنشرح اليه نفسه . ويجب الاحتراز عن الالفاظ الحشوية التى تتخلل كلام بعض اللكن والرعن كما يجب ترك التضمين (١) فانه اقبح داء واسوأ آفة للوقار والبهاء . وفيه تجرئه السفلة على الوقاحة وهي من اخلاق الادنياء ، سرى داؤها الى غيرهم من الترخيص لهم فى الجلوس معهم ، والانبساط اليهم ، لاضحاكهم ورضاهم بمعاشرتهم وماتضمينهم القبيح الا نفثات سموم تسرب فى جسم الحكمة والادب فتفسده . وعلى المتكلم ان يتجنب الحلف في كلامه وان كان صادقا توقيراً للفظ الكريم ، وتباعداً عن ايهام الدخل فى كلامه لترويج مأربه . وعليه ان لا يباحث فى المسائل المذهبية التى تولد الضغائن والتعصب فانها من اعظم آفات العمران واشد عامل على التفرقة والانقسام . وعليه ان لا يكون مكثاراً من القول مستغرقا الجلسة فى طول حديثه ملجماً الغير عن المشاركة فان ذلك مضجر للجلساء ، ومن دلائل الطيش والخفة ، فمن بسط لسانه قيض اخوانه ، ودواؤه الاعراض لان حسن الاستماع قوة للمحدث

(١٥) ﴿ أدب جليس الامراء ﴾

يلزم جليسهم ان يكون متأدبا حسن الاخلاق ، نقى الثوب طيب الرائحة ، ذا معرفة بالبلاغة والفصاحة ، حافظاً لصواب الشعر

---

(١) نوع من الكلام يستعمله ارباب المجون والخلاعة والمساخر اه

وملحه ومجونه ونوادره يورد الحكايات والفكاهات وضروب الامثال في اوقاتها، كتوما للاسرار بعيداً من النميمة، حسن المحضر للناس، يأتي في خطابهم بضمير الغائب، ولا يستعمل ضمير الجمع في الاخبار عن نفسه ولا يكون جهير الكلام ولا مهموسه مخففاً مدة الزيارة لهم، فان في اطالتها ضيق صدر المزور وملال الزائر وضياع الوقت عليهما. قال حكيم إذا حضرت مجالس الامراء فاغضض عينيك، ولا تقل في غيبهم مالا تقوله في مشهدهم، فان حرمة مجالستهم في غيبهم كحرمتها في مشهدهم. ولا تأمن ان يكون لهم عين ترفع اليهم اخبارك، وتورد عليهم اسرارك. واذا حدثك صاحب المجلس فاسمع اليه واقبل بوجهك وجملتك عليه، ولا تعرض، عن كلامه وقوله. واذا اورد عليك خبراً، أو انشدك شعرا اوطارحك امرا وأنت به عليم ولك به خبر قديم فأظهر له انك لم تسمعه الامنه، ولم تاخذه الاعنه كما قيل:

(وتراه يصغي للحديث بسمعه * وبقلبه ولعله ادرى به)

واجعل لدينك من دنياك نصيبا وكن على نفسك رقيبا وصير لكل جارحة من جوارحك زماما ومن النهى والعقل زماما. واذا صاحبت اميراً فتوخ جميل الاحترام وتوق سبيل الاقتحام ولا تبدأ بالمقال ولا تبسط بالسؤال واذا تكلم فاقبل عليه بوجهك واصغ اليه بسمعك ووكل بشفتيه ناظرك واشغل بحديثه قلبك وخاطرك واستمعه استماع مستحسن هاش له مستبشر به متعجب منه وان كنت تحيط به علماً

وتحقه فهما ولايدعوك فضل انسه اليك ومداعبته اياك على ابتدائه بالمزح والهزل ومفاتحته بما يستهجن من القول فازالة الحشمة توجب الغضب والانكار . واما استاذ الامير ومعلمه فيلزمه ان يخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاصرة لامخرج التعليم والافادة لان لتأخير التعليم خجلة يجل الامير عنها فان ظهر منه خطأ اوزلل فى قول اوعمل عرّض له باستدراك زلله اواصلاح خلله ولم يجاهره واذا أعطاه فضل اقبال عليه فلايحمله ذلك على الادلال عليه والاكثار اليه فصار ذلك ذريعة الى مله ومفضيا الى بعده فان الامير متقسم الاخطار مستوعب الزمان ليس له فراغ المنقطعين الى العلم ولاصبر المنفردين به . وليحذر موافقة هواه فيما يجانب الدين ويضاد الحق فان فى ذلك غضب الحق ومقت الخلق وما احسن قول الرشيد للاصمعى : ياعبد الملك : أنت اعلم منا ونحن اعقل منك لاتعلمنا فى ملا ولاتسرع الى تذكيرنا فى خلا واتركنا حتى نبدأك بالسؤال فأذا بلغت من الجواب حق الاستحقاق فلا تزد الاان يستدعى ذلك منك وانظر الى ماهو الطف فى التأديب وأنصف فى التعليم »

(١٦) ﴿ ادب جليس العامة ﴾

على الجالس فى محفل أن يجلس مستقيما غير مضطجع ضاماً ثوبه وان لايكثر الاشارة بيده ولا يتثاءب اويتمطى ولاينزع عمامته ويحك جلدة رأسه ولا يجلس فوق من هو اكبر منه مقاما وان يجلس فى موضع لايقام منه . هذا من جهة ادبه فى نفسه معهم * واما من جهة حديثه فقال

حكيم : اذا بليت بالعوام فادب المجالسة معهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم .

وفى كتاب (النصائح الدينية) ينبغى للعالم ان يكون حديثه مع العامة فى حال مخالطته ومجالسته لهم ـ فى بيان الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على الاحسان والاساءة ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ويزيد بيانا للامور التى يعلم انهم ملابسون لها ولا يسكت حتى يسئل عن شئ من العلم ـ وهو يعلم انهم محتاجون اليه ومضطرون له فان علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال والعامة قد غلب عليهم التساهل بامر الدين علماً وعملا فلا ينبغى للعلماء ان يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وارشادهم فيعم الهلاك ويعظم البلاء وقلما تختبر عامياً — وأكثر الناس عامة — الا وجدته جاهلا بالواجبات والمحرمات وبأمور الدين التي لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشئ منها وان لم يوجد جاهلا بالكل وجد جاهلا بالبعض وان علم شيئاً من ذلك وجدت علمه به علماً مسموعاً من ألسنة الناس لو اردت أن تقلبه له جهلا فعلت ذلك بأيسر مؤونة لعدم الاصل والصحة فيما يعلمه . وينبغى للعلماء ـ وخصوصاً منهم ولاة الاحكام ـ ان يعظوا عامة المسلمين عند الاختصام اليهم ويخوفوهم بما ورد عن الله وعن

رسوله من التشديدات والتهديدات فى الدعاوى الكاذبة وشهادة الزور والايمان الفاجرة والمعاملات الفاسدة مثل الربا وغيره ويذكرون لهم بعض ما ورد فى الشرع من تحريم هذه الامور وشدة العقاب فيها وذلك لغلبة الجهل وشدة الحرص وقلة المبالاة بأمر الدين . وعلى الجملة فيتأكد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم ويحدثوهم به ويبثونه لهم ويكون كلام العالم معهم فى بيان الامر الذى جاؤا اليه من أجله مثل ما اذا جاؤا لعقد نكاح يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من الصداق والنفقة والمعاشرة بالمعروف وما يجرى هذا المجرى ومثل ما اذا حضروا لعقد بيع يكون حديثه معهم فى الشهادات وفى صحيح البيوع وفاسدها ونحو ذلك . وهذا خير وأولى فى هذه المجالس من الخوض فى فضول الكلام وما لاتعلق له بالامر الذى من أجله جاؤا ولا بالدين رأساً ولا ينبغى للعالم أن يخوض مع الخائضين ولا أن يصرف شيئاً من أوقاته فى غير اقامة الدين وهذا الذى ذكرناه من أنه ينبغى للعالم ويتأكد عليه أن يجعل مجالسته ومخالطته مع عامة المسلمين معمورة ومستغرقة بتعليمهم وتنبيههم وتذكيرهم قد صار فى هذا الزمان بالخصوص من أهم المهمات على أهل العلم لاستيلاء الغفلة والجهل والاعراض عن العلم والعمل على عامة الناس فان ساعدهم أهل العلم على ذلك بالسكوت عن التعليم والتذكير غلب الفساد وعم الضرر وذلك مشاهد لاهمال العامة أمر الدين وسكوت العلماء عن تعليمهم وتعريفهم

ولا حول ولا قوة الا بالله انتهى وتتمة ذلك (فى أدب النصيحة) فاستمع لما نتلوه :

(١٧) ﴿ أدب النصيحة ﴾

من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الانسان كافة وهى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى نوّهت الشرائع بعلو شأنهما وجعلتهما من أهم الوسائل النافعة فى تقويم أود الامة وتشييد دعائم هيأتها الاجتماعية غير أن النصيحة لا تجدى الا باستيفائها شروطها من الصدق والاخلاص واللين فى القول والمحبة والتجرد عن شوائب الخشونة والبذاءة فى اللسان بالسباب والشتم مما تنفر منه الطباع السليمة وعلى المنصوح له أن يكون ممن روض نفسه على الانصياع والقبول لكلمة الحق من غير مشاحة ولا تعصب فتوجد اذ ذاك القابلية التامة لما بعد ذلك من التخلق بالاخلاق الحميدة والتحلى بحلى الآداب الحقة والا فما دام العناد فى قبول كلمة الحق مستولياً على القلب بجنود التعصب الاعمى فمن المحال أن يرجى لدائه شفاء ولاندمال جرحه دواء ومهما بلغت الانفس من الكمال شأواً كبيراً وحصلت من السعادة على درجة عظيمة فهي فى حاجة الى النصح والارشاد * وما ألطف ما قال بعض الاخيار فى هذا الموضوع : الدعوة الى الهدى بنور الله ورسوله من اهم المشروعات وأكبر الوظائف الدينية وتعاليم الدين وبث أصوله فى

نفوس أهله فريضة لا يصح تركها والتقاعس فى ادارتها بوجه من الوجوه ولا مجال للنزاع فى ان أحكم الوسائل وأقوم السبل لتربية الشعوب وترقية الامم هو قيام كبار الاخيار وقادة الافكار بدعوتها للبحث فى أسرار الشرائع وفى مذاهب الحياة والنظر فى طبائع الكون ونواميس العمران وأنه ينبغى على من يأنس من نفسه القدرة على أداء هذا الواجب الملى وبث روح اليقظة بين أفراد تلك الامة أن يسعى لخير قومه سالكا سبيل الجراءة والاقدام والثبات فلا يسأم من تكرار الدعوة وموالاة الارشاد الى ما يتوسم البلوغ بسببه الى الغاية المبتغاة من سبل التقدم ومناهج الترقي فقد قالوا « ان مقاليد القلوب بأيدى الخطباء وأزمة النفوس بأيدى الكتاب » وقال الصاحب بن عباد : « اذا تكرر الكلام على السمع تقرر فى القلب » وناهيك بالخطابة والكتابة اللتين يعدان من أهم دعائم العمران التى قام عليها بناء المجتمع الانسانى فانك لا تجد جمعية تألفت أو دولة قامت أو ديناً انتشر او شرعاً تقرر الا على احدى هاتين الدعامتين أو عليهما معا فهو الآلة المؤثرة فى النفوس للاقتناع بالغرض الذى تحاول جذبها اليه بمؤثرات الترغيب والترهيب والزجر والحض والوعد والوعيد ونحو ذلك وهكذا كان حال السلف من أئمتنا ومرشدينا ممن أوتوا سحر البيان وفصل الخطاب وبذلك جاء قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

(١٨) ﴿ أدب المناظرة ﴾

ذكر حجة الاسلام الغزالى فى الباب الرابع من احيائه ان الذين يزعمون بأن غرضهم من المناظرات المباحثة عن الحق - لان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر - ماهو الا تلبيس ، قال : يطلعك على هذا التلبيس ما ذكروه - وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الاول) أن لا يشتغل به - وهو من فروض الكفايات - من لم يتفرغ من فروض الاعيان (الثانى) أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم منها عصى بفعله (الثالث) أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما يفتى ناقلا عن مذهب صاحبه بحيث لا يتركه ولو ظهر له ضعفه فأى فائدة له فى المناظرة (الرابع) أن لا يناظر الا فى مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً (الخامس) أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه واهم من المحافل خوفاً من تحريك دواعى الرياء (السادس) أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق - كما لو أخذ طريقاً فى طلب ضالته فينبهه صاحبه على دابته فى طريق آخر كان يشكره ولا يذمه وكان يكرمه ويفرح به

فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق فى خطبته على ملأ من الناس فقال « أصابت امرأة وأخطأ رجل » ورد رجل على على رضى الله عنه فقال « أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم » . (السابع) أن لا يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف (الثامن) أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم ـ . هذا ملخص ماذكره الغزالي عليه الرحمة وقد أطال فأطاب وجوّد الامثلة فى ذلك فليراجع . ومن كلامه عليه الرحمة : فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاهدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحى من تشبيه نفسه بالصحابة رضى الله عنهم فى تعاونهم على النظر فى الحق *

وذكر أيضاً عليه الرحمة من آفات المناظرة الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المراة فيه حتى تصير المراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاماً الا وينبعث من طبعه داعية الاعراض عنه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء فى مقابلة الباطل محذور * وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذباً وبين من كذب بالحق فقال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه »

وقال أيضاً عليه الرحمة ـ فى فيصل التفرقة : فان تخبط فى جواب هـذا يعنى ماقدمه من كلامه ـ أو عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم أنه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلا له كان مستتبعاً لا تابعاً واماماً لا مأموماً فان خاض المقلد فى المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد الخ

وقال الامام تقي الدين عليه الرحمة (١) ان المبتدع الذى بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذى عندك ابتداء أخذ يعارضك فيـه لما قام فى نفسه من الشبهة فينبغى اذا كان المناظر مدعياً أن الحق معه أن يبدأ بهدم ماعنده فاذا انكسر وطلب الحق فاعطه اياه والا فما دام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق الى قلبه كاللوح الذى كتب فيه كلام باطل امحه أولا ثم اكتب فيه الحق انتهى *

ولقد ذكر ان ذلك كان قاعدة للامام احمد بن حنبل رحمه الله — فى مناظرة المبتدعين *

الباب الخامس في القوانين الصحية وتوابعها

(١) ﴿ ادب حفظ الصحة ﴾

صحة الجسم من أعظم النعم التى يتمتع بها المرء في هذه الحياة

---

(١) (جواب اهل الايمان فى تفاضل القرآن)

فيجب عليه أن يراعيها بما يحفظها ويباعدها من ضعفها وانحلالها مراعاة أكيدة فلا يسمح له التقصير فيها بوجه ما ومن ذا الذى يحصى فوائد العافية وهى التى بها قوام الانسان ووجوده ومن ذا الذى لا يرغب فى النجاة من الامراض العائقة عن كل عمل دينى ودنيوى . والعقل اكبر مرشد الى أن من يعتنى بجودة طعامه وشرابه ونظافة جسده ولباسه ومسكنه وانتقاء الهواء واجتناب ماينهك القوى أقرب الى الصحة والعافية ممن يهمل ذلك . نعم يندر وجود من ينال تمام الصحة من جميع الوجوه ولا يدركه المرض ولكن هذا لايمنع من الاهتمام بالوسائط المقررة لحفظ الصحة وترقيتها الى اعلى ماتصل اليه يد الامكان .

واخص اسباب المرض ماينشأ عن فساد الهواء الذى يستنشق والماء الذى يشرب والطعام الذى يؤكل واللباس والمساكن التى تكمن جراثيم الامراض فى اقذارها *وسنتكلم على آداب كل منها قريبا . وقد بحث الاطباء فى هذه السنين الحديثة فى سبب الامراض التى يمكن منعها ، وعرفوا انه عائد الى اجسام حية دقيقة لاتشاهد الا بالمكر سكوب (النظارة المكبرة) تدخل الجسد وتتكاثر فيه — فى اقرب وقت — تكاثراً لايحصى واذا انحصرت فى مكان واحد كالحلق تكون منها سموم يمتصها الدم ويحملها فى دورته الى جميع الجسد فيحدث من ذلك حمى واضطراب عام قد يؤدى الى الموت . ثم اشتغلوا بدرس صفات هذه الاجسام على انواعها وما يتعلق بحياتها وكيفية تولدها ونموها وموتها واحرجوها من الجسد

وربوها وعالجوها بطرق مختلفة ليعرفوا ماالذى يقتلها والسبيل الى ادخال قواتلها فى الجسد بلاضرر فى الحياة . وكثير منهم متفرغ لهـذا الدرس الجليل وهم على امل النجاح الـكبير . وقد ثبت لديهم ان هذه الجراثيم اوالاعداء تنتشر من المصابين بها فى الهـواء وربما خالطت الطعام والماء فيكون الاصحاء عرضة لها على الدوام . وتحقق ايضا انها تدخل اجسادهم ولـكنها لاتسبب المرض الا فى بعضهم واتضح لهم من درس اجهزة الجسد (بالمـكرسكوب) ان فى الدم خـلايا تسمى بكريات الدم البيضاء تجرى فيه فاذا دخلت الجراثيم المرضية الجسـد افترستها الاجسام المذكورة واهلـكتها فيسلم الانسان من غائلتها — هذا اذا كانت الخـلايا صحيحة قوية كافية لمقاومة العدو * واما اذا ضعفت مع ضعف الجسد — بسبب فساد الهواء من ازدحام السكان اوالغازات المنبعثـة من الـكنف والمراحيض والبلاليع والاسراب او الافراط بالشهوات اوالتعب المفرط او نقص الطعام او ردائتـه أوالخوف اوالغم — تغلبت عليها الجراثيم المرضية واهلـكتها وفتكت بالجسد واثارت المرض فاذا دخلت هذه الجراثيم الجسد حدث فيه قتال عنيف بينها وبين جيش الخلايا المذكورة فتدور الدائرة على الفريق الضعيف منهما وهو شبيه بقول القـدماء : « ان الطبيعة والمرض خصمان يتقاتلان والغلبة للقوى منهما » ومن الامراض ماله سبب غير الجراثيم المرضية والتفصـيل فى كتب الطب فسبحان من علم الانسان مالم يعلم .

(٢) — ﴿أدب المسكن وتنقية الهواء﴾

ينبغى ان يكون المسكن بعيدا عن المياه الراكدة وعن مطارح القاذورات والبالوعات والمعامل التى ينشأ عنها فساد الهواء وان يكون مضيئاً متجها لنور الشمس ولذا كان من يقطن فى غرف مظلمة اضعف واكثر مضرة ممن يسكن فى غرف مضيئة تستقبلها الشمس ويلزم لكل انسان مقدار عشرة امتار مكعبة من الهواء ولا سيما اذا كان قبواً * وينبغى ابعاد الاشياء المتخمرة او المتعفنة عن المنازل ودوام تنظيفها ومراعاة تجديد الهواء بفتح النوافذ مراراً . وليحذر من اغلاق النوافذ على الناس المزدحمين فى محل واحد كالشتاء اذ يمتنع تجدد الهواء فيها فيفسد بانفاس الجالسين فينشأ عنه اخطار شتي . وليحذر ايضا من استنشاق هواء الشمعة ساعة طفئها فله سرعة ضرر لما ينشأ عنه من الاختناق * ويجب الاحتراس ايضا من الفحم الغير التام الاحتراق لعظم ضرره . قال بعض الحكماء . من دواعى الصحة الاعتياد من زمن الطفولية على النوم والشبابيك مفتوحة فى جهة نظيفة من غير تعرض لمجرى الهواء وذلك لاقوياء البنية السالمين من الامراض . وان اكثر الامراض المنتشرة فى البيوت من عدم الاعتناء بتجديد الهواء وان الاعتناء بصفاء الهواء يجب بقدر الاعتناء بنظافة المأكولات والمشروبات وان جراثيم الامراض تنقطع من الاماكن التى يدخلها الضياء والهواء الصافى كما تكثر فى الاماكن المحرومة منهما . وقال حكيم ليعلم أن نقاء الهواء معناه خلوه من مواد

سامة تخالطه وأخص هذه المواد السامة ثلاث (الاولى) أبخرة منبعثة من الجسد (والثانية) أبخرة منبعثة من الاقذار (والثالثة) أبخرة من المستنقعات . أما المواد المنبعثة من الجسد فهى : ما يخرج منه بواسطة البخار الرئوى والجلدى . وللأبخرة المذكورة رائحة خصوصية تنتشر بها الاثواب والاسرة والفرش وتلتصق بالجدران وقد تدوم زمناً طويلا وهى السبب العظيم الناشئ من ازدحام المجتمعين اذ لم يتجدد فيها الهواء فلا يخرج الانسان منها الا ويشعر بتعب أو صداع أو ثقل فى الرأس لا يزول الا بعد التعرض للهواء المطلق برهة وشاهد كثير من الاطباء موتى اغتالتهم يد المنون من ازدحام شديد فى أماكن محصورة ولهم احصاآت فى ذلك شتى فيتضح مما تقدم أن تبديل الهواء فى المساكن من الامور الضرورية لحفظ الصحة ومنع المرض وأن نوم كثيرين فى غرفة واحدة مغلقة النوافذ من العادات المضرة فاذا لم يمكن تقليل عدد النيام ترك بعض النوافذ مفتوحاً لاجل ابدال مافسد من الهواء بالنقي منه . وكذلك الازدحام فى المساجد والمدارس يوجب تطهير الهواء فيها بواسطة فتح النوافذ المتقابلة . واما خوف العامة من دخول الهواء البارد الى البيوت فوهم — لانه اذا كان نقياً فهو ضرورى للصحة ولو مدة النوم بشرط أن يبعد الفراش عن مجرى الهواء البارد وربما كان أقل ضرراً من تنفس الهواء الفاسد وكذا يقال فى اجتناب مافسد من هواء الاقذار والمستنقعات فان اضرار استنشاقه جمة والتفصيل فى

(٣) ﴿ أدب النوم ﴾

يجتنب النوم فى محل غير مسقوف لانه يكون عرضة للتغيرات الجوية ولا يغطى الرأس غطاء ثقيلا ولا يشد برباط أصلا ولا يكون الفراش يابساً ولا ليناً آخذاً فى الارتفاع بالتدريج الى جهة الرأس ولا ينام على بطنه لاعاقته حركة الاعضاء البطنية والظهرية ولا على الظهر وأن تكون الاعضاء منثنية نصف انثناء لانه يسهل مرور الدم فى الاوعية وراحة الاعضاء وأن يكون غطاء الرأس خفيفاً والاقدام ساخنة والهضم تاماً والفكر ساكناً فان كثرة التفكر واجهاد البال عند التأهب للنوم من أهم أسباب الارق وأن يبعد عن مكان اللغط وعن الضوء الضعيف من زيت الكاز لانه يؤدى الى ضيق النفس واختناق الصدر بردىء رائحته التى تفسد الهواء وأن يخرج باقة الزهور ليلا من المكان لانها تفقد الهواء أوصافه الجيدة ولا بأس بالقيلولة فى النهار الطويل أو طلب الجسم لها مطلقاً ومدة النوم من ست ساعات الى ثمان والزيادة عليها تورث العقل خموداً *

أما أسباب الارق فقد تكون أدبية مثل الاهتمام بالاشغال والقلق للمستقبل والتعب العقلى وتعب الوجدان والحزن وتبكيت القلب وقد ينشأ الارق من أمراض طبيعية صرفة وفى الغالب ان المرء يحرم النوم بتساهله لانه لايحسن الاضطجاع على فراشه ولا يتخذ الاسباب اللازمة

فان أردت أن تنام فعليك أن تتخذ غرفة بعيدة عن الضجة خالية من الانوار الصناعية والحيوانات والزهور والاثاث والبسط وان تكون معرضة كل التعرض للتهوية حتى فى الشتاء وان يكون الفراش منحنياً قليلا من الرأس الى الاقدام بحيث ترتاح فيها الاعضاء جيداً وان يتخذ الفراش من الصوف وتكون المخدة لارخوة ولايابسة وان يختار من الغطاء الخفيف ومن الوسائد القليلة التضاعيف والنعومة وعليك ان تنام بعد الاكل بساعتين اوثلاث فالاولى ان لاتغفي الجفون الا بعد ان يتم الهضم . وينصح بعض كبار الحكماء للمشتغلين بالاشغال العقلية ان يناموا بعد الاكل . ومن رأيه ان الواجب ترك الدماغ يستريح خلال الهضم وينبغى ان لاتترك فى خلال ايام القيظ ويفضل النوم منفرداً وعلى النائم ان يختار وسط الفراش لينام هنيئاً وترتاح اعصابه وتنبسط وان لاينهض وذراعاه فوق رأسه كما يفعل بعض النساء تدللا لان ذلك مما يخالف نواميس (الفسيولوجيا) فاذا صدر النائم صفحة وجهه كثيراً فانه يتعب اعصاب ذراعيه واعصاب صدره وينقبض عنقه ويهز تنفسه فلا يمتد طويلا وعليه فالواجب ان يكون الرأس واطئاً ماامكن حتى يتسرب الدم الي الدماغ على صورة منتظمة وان يتمدد الجسم كل التمدد وان لاينثنى الساقان ولا يشبك احدهما مع الآخر وان لاترفع الركبتان ولا ينفع النوم مستلقياً على الظهر . ويؤكد بعض الاطباء ان هذا الضرب من النوم ينشأ عنه مرض النخاع الشوكي وربما كانوا مبالغين فى تصورهم

على ان النوم بالاستلقاء يحدث ارقا مضنياً او كابوساً أو اضغاث احلام والنوم على الشق الايسر أصعب حالا من الاستلقاء أيضاً لانه يوقف الهضم ويؤدى الى ضيق النفس والاختناق ، والى حدوث حركات فى القلب تضغط عليه وتؤذيه . وعلى النائم أن لا ينام وبطنه منبسط ، فالافضل أن ينام المرء على جانبه الايمن لما فى ذلك من النفع للحواس وعلى هذه الطريقة ينبغى لنا تعويد أولادنا ، وان نقتصر نحن أيضاً أن ننام مثلهم *

واذا حدث لنا قلق فالواجب علينا أن نعمد الى الطرق البسيطة لجلب الكرى الى العيون ، وذلك بالمشى والاستحمام وشرب الحليب الحار ، ولا ينبغى أخذ شيء من العقاقير والمخدرات لانها ضارة وتأثيرها موقت لا يلبث أن يزول . هذا وعلى كل انسان أن لا يغفل أمر النوم فقد قال حكيم : إن فى النوم لصحيحى الجسم قوة وفرحاً. وللمريض شفاء وهناء *

(٤) ﴿ أدب اللباس ﴾

ينبغى أن يكون غطاء الرأس خفيفاً ، والاقمصة والسراويل من كتان أو قطن بيضاء غير مصبوغة ، وأن تغير وتغسل كثيراً ، ولا ينبغى مكثها على بدن الفقير أكثر من أسبوع . ويغيرها الغنى كل يوم أو ثلاثه أيام فى الاسبوع *

ولا يلبس الصوف مباشراً لبدنه الا فى بعض الامراض والاشخاص الضعاف . ويلبس مدة الزمان البارد كالشتاء . ويغير كثيراً لانه سريع الاكتساب للعفونة . ولا يلبس الواسع الذى لا يحيط بالجسم ولا يقى من البرد . ولا الضيق المعيق لحركة الدم والجسم . ولا تشد أربطة الاطراف ولا الحزام . لانه يعيق دورة الدم . ويسبب الفتاق . ولا يضغط عضلات العنق والحنجرة بقبة عالية أو تزرير ضيق لئلا يضعف الصوت ويوقف الدورة أيضاً ويلزم أن يكون ما يلبس فى القدمين مدفئاً لا واسعاً . ـ لا نه لا يضغط على الاقدام ويخلع فى حال المشى ويتعب الماشى ولا ضيقاً لانه يعيق الدورة ويحدث قروحاً أو يبوسات مؤلمة ولبس الجورب مفيد لانه يصون القدم من البرد فيلزم أن تكون فى الصيف من قطن أو كتان وفي الشتاء من صوف . ويلزم تهوية ثياب النوم كفراشه يومياً *

(٥) ﴿أدب نظافة الجسم والاستحمام﴾

الوساخة مذمومة مضرة بالصحة تولد القمل وتسبب الامراض الجلدية كالجرب والجزام والقرع * دع عنك ما تسببه من الروائح الكريهة والمنظر القبيح للمرء واجتناب قربه واستقذار مخالطته فيلزم أن يتعهد الجسم بالغسل والاستحمام * أما غسل الاطراف ففي كل يوم مراراً وأما الاستحمام فمرتين فى الاسبوع صيفاً ومرة فيه شتاء ويكون بالصابون

والليف لازالة الوسخ المتراكم من عرق البدن ولتبقى مسام الجلد مفتوحة تفرز المواد المذابة فى العرق والاشخاص المعرضون للغبار يلزم اعتناؤهم بالاغتسال اكثر من غيرهم ولا يستحم وجسده معيي من تعب عقلى أو جسدى أو عقب الطعام *

(٦) ﴿أدب الطعام﴾

المطاعم تراد للصحة لا للذة لانها خلقت لتصح بها أبداننا وتصير مادة لحياتنا فهى تجرى مجرى الادوية يداوى بها الجوع والألم الحادث منه فينبغى أن يأخذ المتأدب بما يذكر :

لا يتناول الطعام الا اذا صدق الجوع لا ينبه الشهوة بوسائط لا يتأخر عن تناوله اذا طلبته النفس * لا ينتظر زيادة التوق اليه لانه قد يفضى به الى الشره * لا يجعل هجيراه مدح الطعام الذى يستعظمه أهل الشره يقبح عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجته لا يبادر اليه اذا جلس مع غيره لا يديم النظر الى الوانه ولا يحدق بها لا يسرع فى الاكل لا يوالى بين اللقم * لا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها لا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يؤاكله * لا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام يعوّد نفسه على أن يؤثر غيره بافضل ما يليه يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه يأكل الخبز بلا ادام أحياناً يحترز من تناول الشديد البرودة والسخونة فان له أضراراً جمة * منها

تسويس الاسنان ولذا يلزم تنظيف الاسنان بعد الاكل بمسواك أو فرشاة وماء لازالة آثار الطعام المتحللة * لا يأكل طعاماً قبل هضم الاول والزمن اللازم للهضم خمس ساعات الى ست ومع ذلك فلا تشغل المعدة بالاكل بمجرد مضى ذلك بل يجب أن يكون بين الاكلتين ست ساعات أو سبع مع وجود الشهية الصادقة والا فيلزم الامتناع حتى توجد .ويجتنب الاكل ليلا لان فيه مبتدأ النوم مع اشتغال المعدة بالهضم فيجتمع فعلان فى الجسم يشوش أحدهما على الآخر فينشأ عنه سوء الهضم والتعب فى النوم * وينبغى أن يكون مقدار الغذاء قليلا لا سيما لمن كانت أشغاله عقلية لئلا يثقل الجسم ويغالبه النعاس فيختلط فكره ولا يتمكن من اتمام عمله ويكون العشاء اكثر قليلا لان الاعمال النهارية تمت وجاءت برودة الليل فيسهل الهضم *

(٧) ﴿ كيفية الاكل ومدته ﴾

ينبغى للآكل أن يغسل يديه قبل الطعام وبعده غسلا جيداً وان كان بصابون فهو أولى وان يجلس على المائدة مستويا باحتشام لا متكئاً ولا منحنياً بصدره ولا باسطاً يديه على الخوان * وان يضع الخبز على شماله والملعقة والشوكة والسكين عن يمينه * وأن لا يمس بيده سوى الاشياء الجافة كالخبز والثمار *وان لا يشم رائحة الطعام قبل أكله وان لا يضع فى صفحته اكثر مما يأكله وان يجزأ ما يضعه أجزاء صغاراً

ولا يأكله لقماً كباراً ويأكل بيمينه الا لضرورة ويجتنب الاسراع المفرط والبطء كذلك وتكون مدته عشرين دقيقة الى ثلاثين فان طالت فلاتزيد على ساعة * ويجتنب الاكل وقت الغضب والانفعالات النفسانية لخطر أعراضه حالتئذ ولابد وقت الاكل من راحة المفكرة ليحصل الهضم فلا يخوض فى العويصات ولا فى لامور المحزنة ولا يتذكرها وليحذر نمخ الطعام الحار ويجب المضغ جيداً وسحق الجامد بالاضراس قبل الابتلاع وان يمضغ بتمهل لا بسرعة وان لا يستعان على المضغ بسائل كالشاى والقهوة والماء لان الغدد اللعابية تفرز سائلا كافياً لتبليل الطعام الجاف وافراط الشرب وقت الاكل مضر جداً وينبغى الاحتراس من المبادرة الى الاكل عقب شغل عقلى أو بدنى لانه ينتج مرضاً فى أعضاء الهضم ولا يسوغ تناول طعام غليظ أو كثير فى أثناء السير على عجلة أو دابة بل يكون لطيفاً وقليلا ومن فرغ من الاكل فى دعوة فليقلل الجلوس من غير حاجة وليستأذن فى الانصراف ويجتنب القران فى تمر ونحوه لما فيه من الشره والخطر على المبلع وليحذر من نفض اليد فى الاناء وتقديم فمه الى الاناء عند اللقم ومن غمس اللقمة الدسمة فى خل أو نحوه ومن غمس اللقمة التى أكل منها فى المرقة ومن عض طرفها ثم وضعها فى المطعوم ويحول وجهه عند السعال والعطاس ويخلل أسنانه بعد الطعام لا فى أثنائه ولا ينقل الضيف ما لديه الى غيره ولا يخلط طعاماً فى غيره الا فى وعاء لديه ولا يتصنع بالانقباض فيوحش

الحاضرين ومن لم يستطب طعاماً فلا يظهر اشمئزازاً لئلا يأنف غيره منه ويتكلف الانبساط بالحديث الطيب والموعظة الحسنة ولا يرفع من حضر مع جماعة يده عن الطعام قبلهم حتى يكتفوا الا أن يعلم منهم شرهاً ولا يمدح طعامه وتقويمه لانه دناءة ولا بأس أن يأكل ما يكسر نهمته قبل ذهابه للدعوة * وأنسب أوقات الغذاء قبل الزوال بساعة أو ساعتين والعشاء قبل غروب الشمس بساعة *

(٨) ﴿أدب الشرب﴾

من المعلوم ان الماء ضرورى للحياة فان الانسان لا يعيش بلا ماء الا ثلاثة أيام كما لا يعيش بدون الطعام الا ثلاثة أسابيع وبلا هواء الا ثلاث دقائق *

وقد ثبت فى العلم الطبيعى أن مصادر المياه من البخار الذى يصعد من سطح البحر ويتكاثف فى الجو بواسطة البرد ويسقط الى الارض فيذهب بعضه الى البحر والبحيرات وبعضه يغور فى التراب ويخترق الطبقات الصخرية أو ينحدر من بعض شقوقها الى الاسفل ثم يخرج من تحتها الى ظاهر الارض على هيئة الينابيع أو الانهر أو يبقى فى باطنها فيتوصل اليه بواسطة حفر الآبار *

فاما ماء المطر فهو نقى لا يخالطه الا آثار من المواد التى يكتسبها من الهواء غير أنه يفسد فى المدن الغاصة بالسكان التي أبخرتها كثيرة من

إشعال النيران أو منبعثة من الارض فلا يبقى صالحاً للشرب ويفسد أيضاً اذا جمع فى أحواض غير نقية * نعم اذا حفظ فى الصهاريج التى تقيه من الاكدار فلا مانع منه *

وأما ماء العيون والابار فنقى صاف بارد من أفضل المياه للشرب ولو خالطه شئ من الكلس *

نعم ماء الآبار القريبة من المراحيض أو من البالوعات التى تتحدر فيها المياه القذرة واجب الاجتناب عنها لان البئر النقى هو الذى يكون ما حوله خالياً من الاسراب ويكون ما حوله بمقدار عمقه قليتنبه لهذه الفائدة *

وأما ماء الانهر فكثيراً ما يكون مكدراً بالتراب أو الرمل أو تحليل النبات أو جثث الحيوانات التى تلقى فيه وبما يندفع اليه من الاقذار والاسراب فلذلك يلزم تصفيته قبل استعماله أو غليه نحو عشر دقائق وهى طريقة سهلة فى اهلاك الجراثيم المرضية كما حققه الاطباء *

وأما أدب تناوله فأن يأخذ إناءه بيمينه ويشرب مصاً لا عباً ولا يشرب قائماً ولا مضطجعاً وينظر قبل الشرب فى الاناء ولا يتجشى ولا يتنفس فيه بل ينحيه عن فمه ويبدأ فى السقى بالافضل ويدار منه يمنة *

(٩) ﴿ كلمة فى الدخان ومضراته ﴾

كثيراً ما يشاهد المرء أموراً يراها فى نظره الضئيل طفيفة غير

مكترث بها ولا ناظر اياها نظرة محقق بل يغفل عما وراءها من المنافع والمضار وضم الى ذلك بعض من أخذ منهم الغلو مأخذاً عظيما فاعتقد بعض الاشياء المضرة بالجسم المنهكه للقوى نافعـة جداً شأن كل من استحكمت فيه العادة وتمكنت منه باستحسان وانجذاب نفسانى حتى أفضى حبـه الى قلب الاعيان ظهراً لبطن ولا بدع « فحبك الشئ يعمى ويصم *

ومما يجرى هذا المجرى فى استحكام العادة وتهافت النفوس بكليتها عليه ـ مع اعتراف الكثير بمضراته ـ هو الدخان فقـد ثبت لدى الباحثين المحققين من الاطباء مضراته العديدة ومن ذلك تأثيره على الفم والمعدة بتهييج الاصل الفعال فيه الغشاء المخاطى الفمى لما يحـدث من ذلك التهاب اللسان وقروح الحلق والتهاب اللوزتين وتكدير الافراز اللعابى واصفرار الاسنان وتعريضها للسوس *

وتأثيره على الدم : — لانه يذيب بعض الكرات الحمراء . ويغير شكل البعض الآخر ويذهب كثيراً من قوة جـذبها للجوهر المحيون (أوكسـيجين) وتأثيره عل الافرازات لمروره فى الدورة بأسرع من خمس ثوان وتهييج القليل منه عرقاً وتهيئها للامراض وتعريض الجـلد للامراض الجلدية وتأثيره على المجموع العصبي والعضلى : فقـد يحدث تكدراً وخموداً فى الاعصاب ورعشة عصبية عظيمة فى البصر وخموداً واهتزازاً عضلياً الى غير ذلك من المضرات التى ملأت بطون المجلدات

الطبية وظفحت بها المجلات العلمية *

ثم هل يخفى على القارئ بعد المضرات الصحية التى تخل بنظام الجسم ـ المضرات المادية التى تخل أيضاً بالحياة الاجتماعية والادارة الشخصية بما تلتهمه من الدراهم والدنانير وتجعلها عرضة للهلاك والدمار كما قال بعضهم : فهذه النارجلية كم أهلكت من مال وأحدثت من داء وأدخلت فى عبودية فلو أن شخصاً تصدى لجمع ما أنفقته وتنفقه « سوريا » وحدها فى سبيل النارجيلة لرأى أمام عينيه جبل ذهب . ولو أنه عنى بعد من قضى بسبب النارجيلة مصدوراً لتمثل شهداؤها جمعاً كثيفاً * وأما أنها أدخلت فى العبودية فهؤلاء محتكروا التنباك لا يأتمرون فى تسعيره الا بأوامر الطمع فيرفعون سعره ويغلون ثمنه كما يشاءون وما من داعية لهذا الغلاء الذى دخل فى باب الغلو الا طمع المحتكرين *

نحن لا ننكر أن بعضاً من الاطباء قد ذكر له منافع لكن أين هى من مضاره التى تربو عليها ، بل ليست تلك المنافع أمام تلك المضار شيئاً مذكوراً على أن اكثر تلك المنافع التى ذكرت ليست من أصل طبى بل أغلبها وضع لترويح النفوس وتنشيط الافكار والعضلات على العمل العقلى واليدوى فقد قال أحدهم : « ان استعمال التبغ فى بعض الظروف نافع لانه يخمد الانفعالات النفسانية ويريح الانسان من الاتعاب العقلية والجسدية قال ان الصانع الذى أنهك قواه الجسدية بالاتعاب الشاقة مدة نهاره يجد مساء فى غليونه نوعا من الراحة وتعويضاً عما فقد من

قواه الطبيعية ومثله العالم الذى يكون نهاره في التبحر فى المسائل الدقيقة وأحدودب ظهره وتقعر صدره من الانصباب على التأليف والتسطير يصادف راحة فى ظل سحابة غليونه الزرقاء والمسافر الذى يخوض البحار ويطوى القفار يصادف فى دخان غليونه ما يدفع عنه أذى الاهوية المفسدة والابخرة السامة والمياه المختلفة »

فانظر تلك المضار الآنفة الذكر ثم قابل بينها وبين هذه المنافع الست ترى بينهما بوناً كبيراً . اليست وضعت هى للتحريض على العمل والحض على الاقلاع عن الكسل *

تلك مضار أصبحت اليوم من البديهيات وهذه أشبه شئ بالخيالات الشعرية الوهمية وما أبعد ما بين الحقيقة والخيال

هذا ومن أراد الوقوف على مضاره بتمامها وحدا به الشوق على الاطلاع عليها فليراجع رسالة « الشاى . والقهوه . والدخان » (١) ولو لم نقتصر فى هذه الرسالة على الآداب المهمة اللازمة بدون إسهاب مخل لسردنا هنا ضروباً من أضرارها وسوّدنا هذه الصفحات بنتائجها وآثارها *

(١٠) ﴿أدب الرياضة﴾

ترويح الفكر بالرياضة من تجول وتحريك أعضاء أو تأمل فى منظر بهيج مفيد للجسم فائدة كبرى سيما لذوى الاشغال العقلية كالتصنيف

(١) للمؤلف

والمطالعة والتدبر فى المعانى وللنظم والنثر فان الدأب على شغل واحد موجب للضجر وضيق الصدر وانفع الرياضات فى حفظ الصحة مايتحرك بها كل العضلات حركة معتدلة فانها تنميها وتقويها وتحلل فضولها وتجعل البدن خفيفاً نشيطاً بسبب تكوين الحرارة الغريزية لانه كلما زاد سيلان الدم فى الجسم زاد أيضاً رسوب دقائق جديدة فى الانسجة ونزع الدقائق التالفة ولذلك ترتفع درجة حرارة المتحرك اكثر من الساكن وأحسن أوقات الرياضة الصباح لان الهواء وقتئذ جاف ونقى وقوى الجسم أشد ويجب تجنب الرياضة الشاقة قبل أكلة مستوفاة أو على أثرها ولابد أن تكون الرياضة فى الهواء النقي وفى نور الشمس فان تأثيره فى الانسان مثله فى النبات سيما لدارس العلم فانه يتأكد له رياضة فى النهار لا فى المساء *

(١١) ﴿ الالعاب الرياضية ﴾

يقول بعضهم : ان الرياضة الجسدية فى الالعاب الرياضية صحية اخلاقية اذ يستعان على صرف اهواء الشبان عما يضرهم والاخذ بها الى مايفيدهم فان فى النفس ميولا متعددة واهواء متباينة كامنة فما استعمل منها ونشط نما وتغلب على مباينه واصبح ملكة راسخة . ولذلك يجب أن يعدل ميل الشبان ويصرفوا عن الضار الى النافع ويستعان بالالعاب الرياضية على ذلك . والالعاب الرياضية متعددة وليست كلها نافعة فعلينا

ان نختار الانفع منها للصحة ونصرف النظر عما لا يقصد به الالفات نظر متفرج جلباً للدرهم مما لا طائل تحته ومانؤثره حري ان ننظر فيه من وجهين (أحدهما) النفع الصحى . (وثانيهما) ضرورة الاحتياج اليه فى وقت ما فان الحياة عرضة للاخطار كما تمس الحاجة الى معرفة السباحة والعدو تحفظاً من الغرق واهوال الحرب . وقد اثبت التحقيق ان من جملة ماأعان على انتصار بعض الدول فى المواقع البرية كون بلادهم جبلية وهم مروضون على الصعود والنزول فيها . والذى يهمنا الآن من ضروب الرياضة هذه الانواع (١) العدو على اختلاف ضروبه من حيث السرعة (٢) حمل الاثقال الخفيفة (٣) القفز ويدخل فى عداد انواعه — وربما كان انفعها — القفز على الحبل المتداول فى المدارس (٤) المصارعة . (٥) الملاكمة (٦) كرة القدم (٧) المتوازيين (٨) السباحة (٩) الجر الخفيف فى الاثقال والكاوتشوك .

ولابد للمعلم — فى اختيار نوع الرياضة لتلميذه — من النظر فى تناسب اعضائه قبل كل شئ واختيار النوع من الرياضة الذى يسبب اشتغال تلك المحال الضعيفة كي يتناسب الجسم مثلا : اذا كان موضع عدم التناسب فى الصدر — كان يكون الصدر ضيقاً — فانه يشير باستعمال آلة الصدر اوكان موضع الدمامة وسوء التناسب فى الرجلين مثلا فانه يرشد الى استعمال كرة القدم الانكليزية وما قام مقامها .

وثمة طريقة تفضل غيرها — وهي وان كانت لايمكن تلقينها كتابة

اذ لا يتأتى تعليمها وتعلمها الا بواسطة معلميهـا الاخصاء الا أنه يكفى الاشارة اليها والتذكير بها وهى مع قربها عجيبة النفع يصبح مستعملها بعـد ثلاثة أشهر قوياً وضخما مهما كان فى بادئ أمره نحيفاً ودميما . واستعمالها بواسطة اكر حديدية صغيرة ثقلها من الكيلوغرام الى الاربعة أو الخمسة كيلو غرامات حسب حالات التلامذة المختلفة سناً واستعداداً ولذلك هى مقدرة بدرجات معدودة (منمرة) وهذا الترتيب العجيب يتكفل بتحريك كل عضو على حدته وتتفرق الفائدة وتتصل بكل محل فى الجسم فينجح التلميذ نجاحاً عاماً وهى عبارة عن (٢٨) حركة عنـد الاختصاصيين وتزيد عدتها وتنقص وتختلف اختلافاً متقارباً عند بعض المعلمين الآخرين حسب آرائهم *

ولا يحمل النحفاء اليأس وتوهمهـم عـدم قبولهم للنمو على ترك الاجتهاد والتمرن فقد أثبتت تجارب أحد كبار المعلمين نتائج تفرّحهم وتخفف من يأسهم وقنوطهم وقد حدث أقوى أقوياء بعض الممالك انه نال تلك المقـدرة العظيمة بفضل اجتهاده ومثابرته فصارت قوته مكتسبة وكان قبل نحيفاً هزيلا للغاية وما ذلك الا لعنايتـه وبمعرفته الاسباب والتمسك بها *

وهكذا ينبغى أن يهتم النساء مثـل اهتمام الرجال بالرياضة الجسدية أو اعظم كي تتضاعف الفوائد وتشترك بين الجنسين وتكون الاجنة أقوياء قوة مضاعفة وهذا درس أولى نهديه للشبيبة العزيزة اهـ ملخصاً

(١٢) ﴿أدب السباحة﴾

كتب بعضهم فى ذلك ما مثاله :

كان الاقدمون يهتمون بامر السباحة اهتماماً عظيما ـ لانها تقوى العضلات وتنشطها دون أن تتعب البدن تعباً شديداً وهذا الفن هو بدون شك من أقوى المروضات البدنية فالسباحة تجمع بين الرياضة والنظافة فضلا عن انها تجعل الاستحمام بالماء البارد مقبولا عندالاطفال حتى وعند الكبار الذين لا يحسنونها ولا شئ ينشط القوى العضلية ويسكن الجهاز العصبي ويزيد فى خفة ومرونة الانسجة مثل رياضة السباحة وهى فضلا عن ذلك تهيج القابلية وتساعد على الهضم وتحسن تغذية البدن وتعدل وظائف الرئتين والقلب وتزيد فى الصفات العقليه قوة ونشاطاً *

قال حكيم : « يخشى بعض الناس من غرق الاولاد على انى لا أرى للآباء عذراً على هذا الخوف ـ لان الولد اذا غرق وهو يتعلم السباحة أو غرق لكونه لا يحسنها فاللوم فى الحالتين عائد على ذويه لانهم لم يراقبوه وقت تعليمه أو لانهم أهملوا تعليمه » ولا ريب ان السباحةهي من أقوى العوامل التى تعوّد الصغار على احتمال تغيرات الطقس من حر الى برد وتقوى أجسامهم فلا يصابون بالهزال ولا يكونون معرضين لاعوجاج العامود الفقري ذلك لان السباحة تنشط البدن بوجه العموم

فتكسب الجلد صلابة ويتسع بها الصدر لانها تقوى العضلات الممدة له

وليس علم السباحة بالامر الصعب فلا يلزم للانسان سوى بعض الحركة الخفيفة ليبقى عائماً على وجه الماء (وفوائد السباحة) كثيرة (منها أولا) انتعاش البدن ببرودة الماء لا سيما فى فصل الصيف بسبب ما يفقده الجسم من الحرارة وقت الاستحمام (ثانياً) ترويض الاعضاء بسبب ضغط الماء على الجسم وتموجه (ثالثاً) تنبيه الجلد وتنظيفه وانفتاح مسامه وزيادة مرونته وكل هذه المفاعيل تحسن الصحة . وتكسب الانسجة الضعيفة صلابة تساعد الجلد على القيام بوظيفته المهمة وهى افراز بعض الفضول السامة مع العرق فالسباحة والحالة هذه تفيد المهزولين وأصحاب المعى الضعيفة والمصابين بالامراض العصبية وترد النوم لاجفان المصابين بالارق وتنعش قوى الجسم بوجه العموم حتى لا تعود تغيرات الطقس تؤثر فيه ولا سيما فعل البرد وتقيه النزلات الصدرية ولكى يحسن الانسان السباحة لا بد له من الابتداء بتعلمها منذ حداثة سنه وعلى السابح ان يتنفس بكل هدو وسكينة ويتصور ان الماء مستند طبيعى وان يترك الوهم والخوف جانباً ولا يلزمه ان يصلب أعضاءه كما يفعل الكثيرون عند ما يحاولون السباحة لأول مرة بل يلزمه أن يتراخى ويحرك ساقيه ويديه بكل تأن وبلا عزم لان اجهاد القوى لا يفيد شيئاً ولكنه مضر يتعب السابح هذه هى أهم الامور التى يجب على الانسان أن يعرفها اذا أراد تعلم السباحة واذا اتبع السابح

النصائح التى ذكرناها ولا سيما عدم اجهاد قواه يبلغ من الاتقان شأواً بعيداً لان ما ذكر من قواعد السباحة مأخوذ عن عوّام شهير قطع البحر سباحة بين فرنسا وانكلترا (خليج المانش) وذلك غاية ما وصل اليه الانسان من اتقان فن السباحة *

وما أحرى القاطنين على سواحل البحر وشواطئ الانهر ومن يقضى فصل الصيف على السواحل أن يهتموا بتعليم أولادهم السباحة وأن يتعلموا معهم اذا كانوا لا يحسنونها لانها تفيد أجسامهم كما ذكرنا وربما كانت سبب نجاتهم من مخالب الموت * وفى المثل الدارج « الذى يحسن السباحة له عمران »

(١٣) ﴿ أدب المريض ﴾

يلزمه حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر واستشارة طبيب حاذق عالم باصول نواميس الصحة دارس لقواعد الطب والتداوى بما يشير به وقوفاً مع الاسباب التى وضعها المولى جل شأنه ثم التوكل بعدها فى الشفاء عليه سبحانه . ويلزم فى كل الامراض الراحة جسداً وعقلا ، فيسكن عن الدروس والمصالح التجارية ويلزم ان تكون غرفة المريض غير معرضة للأصوات لئلا تزعج المجموع العصبي وان تكون نظيفة يشرح الصدر منظرها فان منظر الكريه يزعج المريض ويزيد فى المه . ويلزم ان تكون غرفة المريض واسعة يدخلها هواء كاف وان يكون اثاثها

قليلا لئلا ينحبس فيها هواء فاسد وأن لا يكون نورها قوياً لئلا يهيج دوران الدم فى الدماغ وأن يساعد على تهويتها دائماً ليتنفس المريض نقي الهواء فيدور الدم فى الجسم نقياً فيقوى فتشتد قوة المزاج على مدافعة المرض فان الهواء الفاسد فى غرفة المريض يطيل الداء وقد يميت العليل تدريجاً . ويؤخر فراشه شيئاً ما عن نافذة الهواء وتهوّى امتعته وفراشه يومياً وان لا يتناول دواء ويذوقه الا باشارة طبيب ماهر كما قدمنا فلا يصغى لمن يصف دواء وهو غير طبيب اذ لا يجوز لغير حكيم وصف دواء *

(١٤) ﴿ أدب الطبيب ﴾

قال الحكيم داود الانطاكي فى مقدمة تذكرته : يجب على الطبيب اتقان العلوم التى تتوقف الاصابة فى العلاج عليها وأن يكون متيناً فى دينه متمسكا بشريعته دائراً معها حيثما دارت نسبته الى الناس بالسواء خلى القلب من الهوى لا يقبل الارتشاء ولا يفعل ما يشاء ليؤمن معه الخطأ وتستريح اليه النفوس من العناء . وهاك صورة العهد الذى كان يأخذه أبقراط رئيس هذه الصناعة على متعاطى الطب . كان يقول له : قل برئت من قابض أنفس الحكماء وفياض عقول العقلاء ورافع أوج السماء مزكي النفوس الكلية وفاطر الحركات العلية ان خبأت نصحاً أو بذلت ضراً أو كلفت شراً أو تدلست بما يغم النفوس وقعه أو قدمت ما يقل عمله اذا عرفت ما يعظم نفعه وعليك بحسن الخلق بحيث تسع الناس ولا تعظم مرضاً عند صاحبه ولا تسرّ الى أحد عند مريض ولا

تجس نبضاً وأنت عابس ولا تخبر بمكروه ولا تطالب بأجر وقدم نفع الناس على نفعك واستفرغ لمن ألقى اليك زمامه ما فى وسعك فان ضيعته فأنت ضائع وكل منكما مشتر وبائع والله الشاهد علىّ وعليك فى المحسوس والمعقول والناظر الىّ واليك والسامع لما نقول فمن نكث عهده فقد استهدف لقضائه الا أن يخرج عن أرضه وسمائه وذلك من أمحل المحال فيسلك المؤمن سبيل الاعتدال . قال الحكيم داود قدكانت اليونان تتخذ هذا العهد درساً والحكماء مطلقاً تجعله مصحفاً

(١٥) أدب العيادة

خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض النظر عن عورات الموضع . والاحسن فى العيادة أن يستخبر من أهله أو يجتمع بهم وحدهم أو يهدي اليه السلام فقد قال بعض الاطباء : لايجوز ازعاج المريض بالعيادة ولو كانت قصيرة لان التنبيه الناشئ من زيارته يؤذيه ويزيد فى مرضه سيما بعيادة الثقلاء ومن لايعرض عن اللغو وأن لا تسمع الاصوات فى غرفته ولكي يتم ذلك فلا يجوز أن يبقى فيها اشخاص أكثر ممن يلزم لخدمة المريض وأن تكون حركات خدمته برفق وبلا صوت ويحترز عن اغلاق الابواب بعنف وعن صرير المفصلات وعن النجوى اذا كانت كثرتها تضيق صدر المريض ولا يجوز اخباره بما يكدر ولا الاشارة الى خطر مرضه *

(١٦) ﴿ أدب تشييع الجنازة ﴾

لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر فى الموت والاستعداد له وأن لا يذكر الميت الا بالجميل المعروف منه *

(١٧) ﴿ أدب المعزّى (بكسر الزاى) ﴾

التوجع للمصاب والتحزن والدعاء له وتسليته بما يخفف ألمه لا بما يهيج أشجانه وقلة الحديث وترك التبسم والمجون *

(١٨) ﴿ أدب المعزَّى (بفتح الزاى) ﴾

التجلد والصبر والتصبر والتسليم لامره تعالى والتذكر بأن ما أصابه هو سنة الله فى خلقه . قال حكيم : من علم أن أحداً من الناس لم يأخذ على الله عهداً بدوام النعم والسلامة من الآفات وان ما فى أيدينا من مال وولد وعز وجاه انما هو عارية أعارنا الله اياها ولو شاء منعها فلم يعطها كان حرياً أن يتوقع استردادها فى كل حين وزوالها فى كل يوم فاذا زالت لا يرد على النفس ما يزعجها ولا يفاجئه مالم يكن يترقبه ومن نظر فى أمر هذه الحياة وخبر شؤونها وتصرفاتها وقتلها علماً وتجربة علم أنها معترك هائل يموج بالرزايا موجاً وأن الانسان فيها بمثابة المخاطر فى معترك الحرب ان فاتته ضربة سيف لا تفوته طعنة رمح او رمية سهم غير أن لكل طبقة من الناس بلايا خاصة ومصائب تغاير

مصائب الطبقات الاخرى وان كان أثرها فى الكل واحداً فمن أراد بعد هذا من حياته صفاء لايشوبه كدر وسعادة لا يخالطها شقاء فليعش فى عالم غير هذا العالم وليطلب حياة غير هذه الحياة ذات نظام غير هذا النظام وسنة غير هذه السنن ان استطاع اليها سبيلا . « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

(١٩) ﴿ أدب زيارة القبور ﴾

تستحب زيارة القبور للرجال وتكره للنساء الا ان يقع منهن محظور فتحرم عليهن فالزائر يقف امام القبر ويقرب منه ويسلم على صاحبه ويدعو له ولا يتمسح بالقبر ولا يصلى عنده لثبوت النهى عن ذلك فى المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول اذا دخل المقبرة السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون (١) يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين * نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم (٢)

والقصد من الزيارة الدعاء للميت والاعتبار به وترقيق القلب وتذكر الآخرة وانما يحصل له الاعتبار بأن يصور فى قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به (٣)

(٢٠) ﴿ أدب زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

من اقبل على المدينة المنورة فليكثر من الصلاة والسلام على النبي

(١ الاستثناء يرجع للحوق بوصف الايمان اه (٢ عن الاقناع وشرحه (٣) للامام الغزالى

صلوات الله عليه وسلامه وليغتسل قبل الدخول اليها وليتطيب وليلبس انظف ثيابه . ثم يقصد المسجد النبوى ويصلى فيه بجنب المنبر ركعتين ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه الكريم وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر الاعطر على نحو من أربعة أذرع ولا يمس الجدار ولا يقبله بل يتأدب فى الوقوف من بعد ويقول : السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا نبي الله . السلام عليك يا حبيب الله . السلام عليك يا خيرة الله من خلقه . السلام عليك يا اكرم الخلق على ربه . السلام عليك يا امام المتقين . السلام عليك يا خاتم النبيين . السلام عليك يا فاتح البر . السلام عليك يا نبي الرحمة . السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين . جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولا عن أمته . وصلى عليك أفضل واكمل وأعلى ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة . وبصرنا بك من العماية . وهدانا بك من الجهالة . أشهد أن لا اله الا الله . وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه . وأشهد أنك قد بلغت الرسالة . وأديت الامانة . ونصحت الامة . وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم تسليما *

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول : السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حياً والقائمين فى امته بعده بامور الدين . تتبعان فى دلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبي عن دينه (١)

(٢١) ﴿وصية فى التشييع وما بعده (٢)﴾

يعجب العاقل من بدع عم ضررها وفشا بلاؤها واستحكمت جرثومتها فى نفوس كثيرين حتى أصبح طرحها بدعة والتمسك بها سنة *

هذا هو تشييع الجنازة اليوم قد حوى من البدع المضرة ما لا تتسع لبيانه هذه الوريقات يعلم ذلك من رجع الى أمهات السنة وكتب الفقه *

ولئلا أخلى القراء من الفائدة أورد لهم هذه الوصيه — الوصية فى التشييع وما يعقبه — لاحد الفضلاء عبرة لقوم أشرب قلوبهم حب الظهور أو التظاهر . بل الفخر أو التفاخر لعلهم يتذكرون أو تنفعهم الذكرى وها كها بنصها الفائق قال :

« وصيتي لاقربائى ، وأصحابى وأصدقائى »

إدا نعيت اليكم . ونزل خبر انتقالى عليكم . فاجتمعوا لتشييعى . وقوموا بسنة توديعى ولكن أحذركم أن تسمحوا لنادبة أو تسمعوا

---

(١) من الاحياء للغزالى ملخصاً (٢) عن كتاب آداب الفتى

لصاخبة أو ترضوا لفاطمة أن تكون لاطمة أو تأذنوا لنائحة أو تنصتوا لصائحة أو تفتحوا باباً للمؤبنات هؤلاء اللاتى اشتهرن بالمعددات ثم اعلموا ان الحزن انما هو فى القلوب لا بلطم الخدود ولا بشق الجيوب فانها كم أن تأتوا شيئاً من هذه المعائب وان تحملوا أوزاركم على ظهوركم بهذه المثالب *

فالنبى لما فجع بولده وفلذة كبده قال : « إن العين لتدمع ، وان القلب ليخشع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون — انا لله وانا اليه راجعون ولذلك لا تخرج وراء النعش قريبة ولا جارة ولا صاحبة ولا نسيبة ولا راكبات ولا راجلات ولا مبرقعات ولا سافرات ولا أختى ولا زوجتى ولا بنت أختى ولا بنتى وقد نهى عن ذلك سيد الكائنات بقوله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » واياكم وخروج النساء الى القبر فذلك عيب لا يستطاع عليه الصبر ، أما انتم فاذا زرتم المقابر فليكن للعظة ولكم فى ذلك ذكرى وموعظة تنظرون الى الموتى في حضرتكم نظر الذى سيلحق بهم فى ليلة زورتهم وتتفكرون فى من ضمت هذه المقابر من الاكابر والاصاغر ومن ملك ومملوك وأمير وصعلوك وكيف حل بهم الموت فجعلهم أجمع لا ينتظرون غير عفو ربهم لا شئ مما اقتنوا ولا قصر مما بنوا ولا مال ولا بنين ولا أمل فى غير رب العالمين فيظهر لكم باجلى برهان قدرة الواحد الديان وكيف اننا بعد الحياة ميتون وبعد الموت منتشرون *

وكذلك اجتنبوا السرف فى النفقات والنقوش فى الحجارة فذلك عمل لا يفيد ساكن القبر وفي التباهى به وزر على وزر *

وبالجملة آمركم أن تكونوا عند حد الشرع الطاهر ولا تقربوا شيئاً من تلك المظاهر وان تحاربوا تلك البدع بعدتكم وعدتكم وتجاهدوا لازالة تلك المنكرات بجميع قوتكم لتطهروا بيت العلم من مثل هذا الاثم لانه اذا كانت بيوت العلماء ميدانا لهذا البلاء وما تم الكبار تشتمل على مثل هذا العار فكيف يرجى لنا الصلاح أو تتعلق آمالنا فى النجاح *

كنت فى الحياة أظهر باجمل رونق بثياب من سندس واستبرق وانا الى البلي اليوم صائر فما معني هذه المفاخر ، هل لتجلني الاشلاء كما يفعل الاحياء ، أم تخشون ان تحقرنى أهل الدار الآخرة فتدثرونني بحنوطكم الفاخرة وتزفونني بحفلاتكم الباهرة ؛ أم ليت شعرى ما الذى يدعوكم لركوب هذه الآفات واحتمال هذه النفقات *

ذلك لعمر الحق لاينفع وما تقدمونه لى من هذا المبتدع لايشفع فالله الذى وعد المتقين خيراً فى الدار الآخرة يقول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرايره »

فمن سلك سبيل الطاعات يحمد منه السرى فقد قال تعالى : « وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى » ومن ضل عن الصراط السوى ولم يتبين له الرشد من الغى فبشره بالعذاب الاليم :

« والذين كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم »

فياقوم كتابكم وعدكم بالثواب على الحسنات وأوعدكم بالعقاب على السيئات والله لا يخلف الميعاد ولا يمنع ما أرادفاعملوا بأوامره واجتنبوا نواهيه تكونوا من الفائزين قال الكاتب :

فهذه وصيتى بكتابى لجميع الذين يحضرونه : « فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، إه ملخصاً *

الباب السادس في أدب السفر

(١) ﴿ أدب المسافر ﴾

ان يبتدئ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ورد الودائع ان كانت عنده وان يطيب زاده ويطعم منه وان يأخذ ما يوسع فيه على رفقائه وان يطيب كلامه ويظهر مكارم الاخلاق ويحسن الى المكارى ويعين الرفقة بكل ممكن ويداعبهم ويطايبهم من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر وان يقصدمن سفره زيادة علم أو أدب أو تبصرة من تجربة أو تعرف آياته تعالى (١)

(٢) ﴿ أدب الركوب فى القطار ﴾

إذا عزمت على السفر فتعرّف مواعيد حركة القطار وعليك أن

---

(١) كما ستراه فى كلمة السياحة

تذهب قبل الميعاد بنصف ساعة لاخذ بطاقة الركوب واحذر من النشالين فى موقف بيع البطاقات وان تبتعد عن الزحام بقدر الامكان وضع أمتعتك فى مكان ركوبك بترتيب واجلس غير مزاحم لرفقائك وكن معهم فى أدب وايثار ولا تسئ أحداً منهم وشاركهم فى الحديث اذا رغبوا واذا وقف القطار فلا تسرع فى النزول وانتظر تمام وقوفه ونزول المزاحمين وسلم أمتعتك للحمال بالعدد وخذ عدده (نمرته) ثم اركب الى منزلك بسلام *

(٣) ﴿كلمة فى السياحة﴾

قال حكيم : السياحة تزيد فى سعة المدارك وتشرف بالانسان على أسرار العالم وعلى نواميس العمران والخراب فى الامم وعلى أسباب المدنية والوحشية فى الشعوب وتجعل للانسان فكرة عامة على معنى الحياة الانسانية الصحيحة والنظر فى الكون نتيجته توسيع نطاق سلطة العقل الانسانى على الادراك والسريان فى ضمائر الكون والوقوف بالتصور والفكر على المواقف التى هما جديران بها من هذا العالم البديع وتخويل القوة البشرية خاصية استخدام قوى الكائنات فى تحسين الحياة الانسانية وتهذيبها بما يفتح للعقل من منغلق المساتير ومؤصد الاسرار وهذا كله كما لا يخفى يعلو بالعقل والفكر ويسمو بهما درجات متوالية فيحصل ما يسمونه الترقي فى الهيئة الاجتماعيه *

الباب السابع
في آداب النفقات ومتفرقات

(١) ﴿ أدب النفقة المنزلية ﴾

ان عماد هذه - اعنى النفقة المنزلية الاعتدال والقصد بين التبذير والتقتير : يقول ناصح : وشرطه ان يكون الانفاق اقل من الدخل ولو زهيداً جداً بحيث تجمع ثروة من الموفرات مع الزمان فان للثروة المجموعة من الموفرات الزهيدة فائدتين عظيمتين :(اولاهما) انها تكون مالا إحتياطياً يلجأ اليه عند مسيس الحاجة فى حالة مرض اوعجز اوعسر لوقوف العمل الى ان يأتي الفرج (وثانيهما) تكون قوة اضافية تثمر فى تجارة اوصناعة بحيث تكون ذات ريع لتنمو وتتكاثر من نفسها مع الزمان ومايتذرع به البعض لتثمير اموالهم من طريق الربا فأنه ذريعة المقت الالهى والعذاب الابدى .

ولعلك تقول ماسر تحريم الربا فى جميع الاديان السماوية ولعن فاعله فى الكتب الالهية فتجاب :بان ذلك لايخفي على نبيه .وهل يلفي محرم الاوآثار فساده جلية هذا الربا انما حرم لنتائجه الهادمة لبني الانسان فان فيه اضرار المحتاج وتعريضه للفقر الدائم والدين اللازم الذى لاينفك عنه وتولد ذلك وزيادته تجتاحه فتسلبه متاعه وأثاثه كماهو الواقع فى الواقع فالربا اخوا القمار الذى يجعل المقمور حزينا محسوراً فمن تمام حكمة الشريعة

المنتظمة لصلاح العباد تحريمه وتحريم الذرائع الموصلة اليه .

(٢) . — ﴿ النفقة على البؤساء ﴾

ان من اعظم الآداب التى يجب رعايتها «الزكاة» التى اوجبتها لشرائع وفرضتها على كل متمول موسر وذلك لما فيها من الفوائد الجمة التى منها سد حاجة المعدوم ورفع احقاد اهل الفاقة على من فضلوا عليهم فى الرزق واشعار قلوب الاغنياء محبة الفقراء وسوق الرحمة من اولئك على هؤلاء فتستقر بذلك الطمأنينة فى نفوس الناس ولا دواء لامراض الاجتماع انجع من هذا كما قال حكيم امام .

فاذا كانت الزكاة بهذه المثابة وجب رعايتها وحفظها بآدابها فمن اهم تلك الآداب تاديتهـا بأوقاتها للبائس الفقير ومواساته بها بدون تمهـل وان يكون ذلك بصورة سرية خفية بدون ان يشعر بها احد .

وهناك حق آخر اودع فى اموال الاغنياء عدا الزكاة وهو ايتاء المال حيث تعرض الحاجة الى بذله فى غير وقت اداء الزكاة *

(٣) ﴿ النفقة على العلم والتربية ﴾

ما أجدر الاغنياء بانفاق أموالهم على معاهد العلم والتربيـة وما احق الموسرين بعد أن يسدوا عوز الفقراء المدقعين — أن يحيوا ملكاتهم العقلية والفكرية وأن يملئوا أدمغتهم من العلوم العصرية التى عليها مدار رقيّ الامم *

لا يجهل من له أدنى مسكة من العقل ان اهم اسباب ذلك الارتقاء هو انشاء المدارس وتشييد (الكليات) وذلك لا يتأتى الا بالتعاون والتعاضد وبذل لمتمولين من الناس الدنانير في هذا السبيل سبيل العلم والتربية * ومن وقف على سيرة السلف الصالح يرى انهم مهدوا لنا تلك السبل قولا وفعلا، كما وجد فى هذا العصر كثيرون من ارباب هذه النهضة (١)

ولقد عثرنا على خطاب بليغ لاحد الاساتذة المشاهير افتتح به بافتتاح مدرسة أنشأتها احدى الجمعيات الخيرية قال ما ملخصه :

لا نريد أن نخاطب الموسرين الذين أغوتهم شرّة الغنى وأسكرتهم خمرة الشباب فقدموا بأموالهم فى هوة الضياع وصرفوا الطارف والتليد فيما يضر ولا ينفيد ﴿ فأولئك كالانعام بل هم أضل ﴾ . وانما نقصد العقلاء من الاغنياء فنقول : اذا كنتم تقصدون لتوفروا من مالكم ما تتركون

---

(١) تلهج الجرائد الاوربية كثيراً فى امر النفقات الطائلة التى يؤديها الاغنياء الاميركيون مساعدة لاندية العلم والمدارس الكلية والمكاتب العامة . من ذلك ان كلية برلستون تلقت هبات كثيرة منها قطعة ارض مساحتها (١٤٠) هكتاراً . وهبة اخرى ذات دخل سنوى يبلغ (٥٠٠) الف فرنك ، وخصت فى وصية بمبلغ قدره مليون ونصف من الفرنكات . ومن ذلك ان جامعة مدينة يال اهديت اليها ارض قيمتها مليونان ونصف من الفرنكات . ووهبت كلية فرجينيا خمسة ملايين من الفرنكات منحتها اياها اميريكية ، وقالت فى هبتها انها تريد ان ينفق ثمنها على شراء كتب لتلك المدرسة ، فلا تعجب بعد هذا الارتقاء العلم عندهم هذه هى الاعمال الخيرية الجارية عندهم مجرى السيول قد كان يحاكيها في الشرق اشادة المدارس التى لم تزل رسومها شاخصة ، وقد وقف لها من الاماكن التى لو بقيت دارة ولم تتلاعب بها ايدى اعداء التقوى والعلم لاحيت ملايين وسمت بهم الى مكان مكين .

لاولادكم حتى لا يكونوا فقراء تعساء فقد سعيتم فى طريق محمود مهده الاسلام ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام . وان ماتصرفون في سبيل العلم والتربية هو من هذا القبيل ايضاً لانه توفير لسعادة الابناء . بل لاسعادة بالمال ان لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدى بهما المتمول الى كيفية الانتفاع بل لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عائشاً مع مهذبين سعداء . هب انك تركت لولدك ما ينبغى من الثروة وهو فى موطن خيمت عليه الجهالة واستحوذت عليه الضلالة اتراه يعيش سعيداً بين الاشقياء ويحيى غنياً بين الفقراء ولا تمتد اليه يد الغواية وتغلب عليه طبائع السفهاء وتستهويه شياطين الاهواء . كلا ان المرء بقرينه ورجل الخير بين ابناء الشرور على خطر . فمن انفق من ماله على العلم والتربية فهو الذى يوطئ لذريته اكناف السعادة ويوطد لهم دعائم العيشة الراضية لانه يصلح لهم مباءة يعيشون فى ظلالها آمنين اه

(٤) حب الوطن

عد الحكماء من امهات الفضائل فضيلة حب الوطن والمراد بها ان يبذل المرء ما يقدر عليه مما اعطاه الله من العلم والمال والخبرة والنصح فى عامة الاحوال والازمان لمنفعة وطنه ومواطنيه فيستقيم فى وظيفته وينصح فى تجارته ولا يغش فى حرفته ويبذل جهده في تحسين حالته ولو بالسفر الى الممالك البعيدة لتحصيل علم يفيد به قومه أو صنعة ينتفع بها فى وطنه او تجارة يجلب منها لبلاده ما تمس اليه الحاجة ونحو ذلك من

المقاصد الصحيحة فليس محب الاوطان من لا يخرج عن الحيطان والقاعد فيه قعود العجائز وملازمه ملازمة العاجز *

ومما يجب فى حب الوطن ان يدافع العدو الذى يحاول اغتصابه واحتلاله وان يجاهدونه بالاموال والانفس احتفاظا بما لاهله فى وطنهم من اقامة شعائر دينهم وتقلبهم فى أملاكهم وصون حريمهم وتصرفهم فى معايشهم والقيام على تربية أولادهم وذريتهم الذى يحاول العدو أن يحول بين هذه الامور وبين اربابها فيقضى على شرف دينهم وينهب اموالهم ومقتنياتهم ويهتك حرمهم ويمحو تاريخ مجدهم ويفنى لغتهم وعلومهم فى رطانته وعوائده كل هذا مما ينويه العدو الغاصب للوطن تلقاء اهله ولذا وجب الجهاد دونه لوجه الله وفى سبيله وبهذه المناسبة نأثر ما قاله بعض الفضلاء (١) من أن كلمه الجهاد اضحت ولها معنيان . معنى شرعى ومعنى اوربى قال : اما معنى الجهاد الشرعى فهو بذل الجهد والطاقة فى مدافعة العدو عن البلاد كما يبذل ابناء وطن جهدهم فى الدفاع عن وطنهم فاذا نادينا بالجهاد فى المسلمين كان المراد استنفارهم للدفاع عن وطنهم وعن ابناء وطنهم من اى ملة كانوا وليس معناه حض المسلمين على مقاتلة غيرهم ممن لم يكن على دينهم ولو كان من أبناء وطنهم المكلفين معهم فى الدفاع عنه *وأما معنى الجهاد الذى دعوناه أوربياً فهو أن أهل أوربا وبعض المواطنين من اهل الكتاب يفهمون من اطلاق كلمة (الجهاد) انه عبارة عن تهييج عامة

---

(١) الاستاذ المغربى فى جريدة البرهان عدد ١٢٦

المسلمين على المخالفين لهم فى الدين ايا كانوا وحضهم على الهجوم عليهم من كل صوب واعمال السيف فيهم وهو معنى يبرأ المسلمون ودينهم الطاهر الى الله منه فان الجهاد فى هذا المعنى من صنيع من لا يقيم للدين وزناً ولا يفهم للاجتماع الانسانى معنى وهو مناف لتعاليم الاسلام واوامر القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ﴾ فليفقه هذا من يظن ان الاسلام يحض على مقاومة سائر من لم يكن على دينه من متعصبة الافرنج اذ ليس بعد مثل هذه الآية الكريمة موضع للريب والاشتباه فى طهارة الاسلام وبراءته مما يصمونه به وليس (الجهاد) بمعناه الشرعى القرآني غريباً عن اصول مدنيـة اوربا التى تربى ابناؤها على حب الوطن والدفاع عنه الى حد الاستماتة فى سبيله فكيف تكون استماتة الغربيين فى الدفاع عن وطنهم كرامة وشرفاً وفخراً لهم وتكون استماتتنا معشر المسلمين فى الدفاع عن وطننا همجية وتوحشاً وعاراً علينا ؟ اذلك لاننا نسمى هذه الاستماتة جهاداً وهي كلمة عربية فصيحة مؤداها بذل الجهد والطاقة فى الدفاع عن الوطن وما يتبعه مما فسرناه به *

(٥) ﴿ أدب النائب فى مجلس المبعوثين عن الوطن ﴾

تعرف الرجال من أقوالهم وافعالهم واحسانهم واستعدادهم وتفانيهم فى عمل النافع وحب الانسانيـة وعضد المشروعات الخيرية

فالنائب لا يطلب بين خزائن النقود حيث يكون محجوباً ولا من وراء سجوف النعمة ورغد العيش حيث يتوارى عن عينك فان من ترفع عنك لا يهبط اليك ومن ابتعد عنك لا يتبعك اذا مشيت الى خير ولا يمتزج بين أفرادك فى ضيقك ولا يقودك فى حاجتك الى الهداية فهذا ليس هو انما نائب الوطن من كان له فى سرّائه وضرّائه ومن يضحى نفعه لينفعه ومن يضع نفسه ليرفعه ومن يرصد معارفه وقوته وأوقاته له *

النائب مشرع للقوانين أول ما تجب عليه معرفته أن يحسن علم الحقوق ويعرف حركة المجالس النيابية عند الامم الراقية ويحسن تاريخ أمته واجتماعها ويعرف ما يدليها ويرفعها ويدرك علائق حكومتنا بحكومات أوربا وما تم بيننا وبينها من المعاهدات وما نالوه منا من الامتيازات ويكون قادراً على الاستخراج من كتب السياسة والادارة والقضاء باحدى اللغات الاجنبية *

فاذا توسم الشعب جميع هذا فى شخص جمع بين العلم وعلو الهمة وحسن الادارة والتنزه عن التحزب والاغراض . فعليه أن يلتمس رآسته ولو كان الكوخ مسكنه أو كانت الدسكرة موطنه فان هذا من تطلبه الوظيفة وان كان هو لا يطلبها *

ومن لم تكن له هذه الصفات فليس هو ولو أعجبتك وعوده وأقواله لانه ليس كل من قال تحقق فيه الآمال *

وقال بعض الفضلاء : ان وظيفة النائب الذى يصبح بنواله النيابة

حائزاً على الوكالة المطلقة عن الشعب ويغدو ذا حق واسع فى المراقبة التشريعية والمالية وذا سلطة كبيرة بالهيمنة على مصالح الامة وصونها وبنقد أعمال ذوى الوظائف الخطيرة لا يكفيها (أى وظيفته) حب الوطن أو الوجاهة فى القوم أو الثراء أو الجراءة بل تستلزم اطلاعاً واسعاً ووقوفاً تاماً وفكراً ثاقباً وعقلا مثقفاً ولا تقاس بالوظائف التى دونها فان النائب ليس قد قلد مقاليد الالوف التى انتخبته ووكل شؤن الاقليم الذى أنابه لا بل مقاليد الملايين التى تقطن فى جميع ارجاء الوطن الواسع ليتصرف بها تصرفاً اجتهادياً واستقلالياً من حيث سن الشرائع الجديدة وتشذيب الموجود منها بما يلائم الحاجيات العصرية والعنصرية ومن حيث تنظيم القوة التى يرتكز عليها شرف الامة السامي تنظيما يحفظ الحوزة وينفي عن الوطن التسلط والتحكم الاجنبي ومن حيث التشبث بالامور الاقتصادية والنافعة التى هى مبدأ سعادة الشعوب فى كل حين وآن

وعلى هذا يجب أن يكون النائب : (أولا) متضلعاً بالقوانين القضائية والادارية والجزائية الموضوعة تضلعاً واسعاً يستطيع أن ينقد به حسنها من منقودها ويكون عارفاً بمواضع خللها ونقصها وصعبها وسهلها ليتمكن من تعديل ما يجب تعديله وتشذيب ما يلزم تشذيبه ورد ما يكون مخطوراً وقبول ما يكون مصيباً ليكون كل منها قريب المأخذ سهل التطبيق فتحصل الفائدة المطلوبة من كلمة النظام *

(ثانياً) أن يكون مطلعاً على قوانين الامم الراقية التي سارت عليها

فوصلت الى غايتها ومأمنها من الخير والمكانة لكى يقدر أن يقيسها مع حاجاتنا فينقل أو يقلد منها ما يراه موافقاً *

(ثالثاً) أن يكون دارساً نظريات أرباب الحقوق والادارة واقفاً على آرائهم ومطالعاتهم ليكون بعيد مرامى النظر فيما يرتئيه لا يقترح امراً ولا يعزم على تنقيح أو إدخال شئ الا وهو مدعم بثاقب الفكر مبنى على أساس متين وركن ركين *

(رابعاً) أن يكون آخذاً بقسط وافر من الفنون الاقتصادية نظرياً وتطبيقياً واقفاً على أسباب النهضات الاقتصادية فى البلاد الراقية واقفاً على دواعى الانحطاط الاقتصادى فى بلادنا ليستطيع على التفكر فى احيائها بعد موتها ويتشبث فى المشاريع العمومية وخصوصاً ليتمكن من اتخاذ التدبيرات المحتمة التى ترقى الزراعة فى أقالمنا *

(خامساً) أن يكون دارساً علم حقوق الدول العمومية والخصوصية مطلعاً على المعاهدات والعقود الدولية واقفاً على تواريخ الامم السياسية من حيث اطوارها التى تطورت بها حتى وصلت الى ما عليه الآن لاجل ان يكون ذا بصيرة فى الحقوق المتقابلة والمناسبات الموجودة بين كل من دولتنا والدول الاخرى وبين كل دولة واخرى *

(سادساً) ان يكون متتبعاً سير الحوادث الكونية من سياسات ونهضات واكتشافات وما يطرأ من الطوارئ والاحوال وذلك بمطالعته الصحف والمجلات لئلا يكون غافلا عما يجرى فى المجتمع العام وجاهلا

بشؤنه المتحولة وتطوراته المستجدة *

(سابعاً) أن يكون دارساً حق الدرس فن تقويم البلدان (الجغرافيا) الطبيعي والسياسي والاقتصادي ليكون ذا خبرة بمواقعها ومواهبها وقابليتها واحتياجاتها *

(ثامناً) أن يكون واقفاً تمام الوقوف على احتياجات الوطن من الشرائع والمنافع وعلى أخلاق الشعب من حيث نزعاته وميوله . وعلى ما تقتضيه مشارب وأمزجة كل أقليم على حدته وعلى الاخص ما يأمن حقوق العناصر المختلفة المجتمعة تحت لواء واحد لتعيش مع بعضها بكل صفاء وتضامن وتظهر أمام عدوها الخارجي بكل قوة وارتباط *

(تاسعاً) أن يكون ذا حزم فى فطرته وعزم في همته ودماثة فى أخلاقه ورصانة فى أفكاره ومثابرة فى تشبثاته لا بالاهوج ولا بالارعن وأن يكون قوى الحجة قوى العارضة قوى الجنان قادراً على الخطابة فى ذلك المحفل العظيم بجراءة واسترسال ليستطيع أن يؤيد اجتهاداته . ويدعم اقتراحاته ومطالباته التي يتشبث بها سعياً وراء سعادة موكليه فى حياتهم الاجتماعية *

هذا أهم صفات النائب العلمية والاخلاقية التى تؤهله لان يهيمن على حقوق الوطن . ويجاهد فى سبيل سعادته إه ما كتبه بعض علماء الاجتماع فى هذا *

(٦) ﴿ ادب اعارة الكتب واستعارتها ﴾

الكتب موضوعها وثمرتها أن تتبادل وتتداول ليعم النفع بها وتجتنى فوائدها فيلزم اعارتها واجتناب الضن بها ومن ضن بها فقد اجترم اثماً كبيراً وكان كمن كتم علماً « ومن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار » ولكن على المعير والمستعير آداب يحتم مراعاتها فيلزم المعير ضرب مدة لمراجعته وتخير أهل المروءة والكمال للاعارة بدقيق التفرس . وعلى المستعير رده فى الميعاد المضروب وحفظه من الابتذال وصونه مما يعرضه للاتساح والامتهان ووضعه بعد المطالعة فى الخزانة وابعاد المحبرة عن ورقه والشكر لمعيره والتبرع بتجليده اذا كان يسمح صاحبه ويرضى به والسعى بطبعه اذا كان مما يعم النفع به *

ولما كان الاكثر لا يراعى هذه الآداب ضن الناس بما لديهم (والحق لهم) ولذا كان من الحسنات الجلية اقامة مكتبات عامة وارصاد الموقوفات فيها صوناً لها من تلاعب من لا ذمة لهم ولا دين من مستعيريها الخائنين *

(٧) ﴿ المكتبات ﴾

اشادة المكتبات وفتح أبوابها للقاصدين حسنة كبرى وباب سعادة عظمى لمن يدخل منه وبمقدار الاقبال عليها تكون الحياة فى الامم ولكن من المحزن الغريب أن ليس لنا من هذا نصيب *

كان ينبغى أن يسأم منا موظفوا المكتبات لكثرة ترددنا وكثرة ما نطلبه من الكتب وكان ينبغى أن ننتظر الفرص بكل تشوف وننتهزها لزيارة المكتبات وما هي الا الجنات لو كانوا يعلمون ولكن بلغ بنا القصور أننا لا نقصدها بل ولا يخطر ببالنا أن نقصدها يوماً من الايام للاستفادة بما فيها من غرائب الكتب ونفائس العلم وقد تركها الاولون لنا ميراثاً يورث سعادة الابد وكم بحث باحثون عن مثلها فأصبحوا أئمة العلم وأرباب الحكمة والفهم فما علينا الا البحث والتنقيب واحراز أوفر نصيب (١)

(٨) ﴿ انتخاب الكتب للمطالعة ﴾

انتقاء الكتب كانتقاء الاصحاب فعليك أن تنتخب منها أعظم ماترتاح اليه النفس وأن تكون مطالعتها لتقويم الفكر لا لضياع الزمن وأن تنقب عن أحاسن المؤلفات سيما المؤلفات الحديثة فان فى كثير منها تحقيقاً وتسهيلا واستدراكا وتكميلا يرقي الى ذروة عالية وليحترز من قراءة كتب المجون ودفاتر المضاحك وسفين نوادر الهذيان فانها مفسدة للاخلاق مميتة للوقت الثمين مخرجة لناقلها من زمرة الحكماء مسجلة عليه بكمال السخافة أو عده مسخرة من المساخر وحلى أن ساعات المطالعة أسعد أوقات الحياة وما يطلب من السرور فى غيرها هو ظل ما يستخلص من لذيذ مسراتها ولا ينبغى لمن كبر سنهم ان

(١) عن العلم والعلماء

يقتصروا على الاشغال اليدوية ويضيعوا كل اوقاتهم فيها بل عليهم تخصيص أوقات للمطالعة والاشغال العقلية لانماء مداركهم ونفع الناس بمعلوماتهم . يقول حكيم لو خيرت في ان اكون اكبر ملك في الارض ولي جميل القصور والبساتين ولذيذ المآكل والمشارب وثمين العجلات وفاخر الثياب ومئات الخدم واشترط في ذلك ان لا يكون عندي كتاب لرفضت ذلك الملك بغير مطالعة وقبلت ان أكون فقيراً في كوخ ومعي كثير من الكتب *

(٩) ﴿ كلمة في التاريخ ﴾

ان من اهم ما تجب العناية بمطالعته تاريخ السلف الصالح وما اتوا من جليل الاعمال فان للتاريخ تأثيراً غريباً في الاخلاق والوجدانات النفسية والميول الشريفة واعداد النفس للحياة الاجتماعية ونعلم سير النظام الكوني في سننه من ارتباط الاسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات فيتخذ الماضي مثالا للحاضر ويتبصر فيما كان يتخذه الاقدمون من الاسباب لارتقائهم وفيما يهبط بالامم من ذرى وحيهم . يقول حكيم : بقراءة فن التاريخ يرى الانسان كيف كانت اسلافه تريق من دمائها في الدفاع عن بيضة وطنها . وكيف كانت تفعل افاضل الرجال في تأييد جامعتها وتأسيس ممالكها *

ماذا يفيدك مثل السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء من بعده اذا قرأته

بتمعن وتفكر اليس يمثل لك الخطوات التى كانوا يسلكونها امامهم من المصاعب الجمة انك لتجد بينها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ولين القلب والجانب كما انك تجد فى مقدمتها الصبر وصدق العزيمة . وجدير بمن عرف مقدار ماتكبد السلف فى تأسيس آثارهم الشاخصة من المصاعب ومقدار مامنحوا من عزيز الانفس لدى أعتاب اسوارها — ان لا تكون له يد عاملة فى نقضها اوروح لا تتفانى فى حمايتها وصونها *

(١٠) ﴿ أدب التجارة ﴾

للتجارة آداب تجب مراعاتها وذلك لاستجلاب قلوب الناس وبث المحبة فى ضمائرها فان قوام المصالح بالمحبة ودرء الاحن مهما امكن . ومتى تولدت الشحناء والبغضاء فى قوم وقفت حركتهم وساد السكون على مصالحهم ونشأت مفاسد أخرى .

لهذا وجب التمسك بآدابها ومن الآداب المهمة بالاجمال العدل في معاملة الناس بأن يجتنب مضرتهم ويحب لهم مايحب لنفسه فكل مايعامل به ويشق عليه ينبغى ان لا يعامل غيره به فعليه اذن أن لا يثنى على السلعة (البضائع المتجر بها) بما ليس فيها وان لا يكتم من عيبها شيئاً اصلا وان لا يكتم من وزنها ومقدارها شيئاً لان ذلك كذب وتلبيس وظلم وخيانة ودناءة وإسقاط مروءة واكل لاموال الناس بالباطل . وعليه ان يحسن فى المعاملة ويتساهل فيها وان يتقاضى دينه برفق وان يحط منه

لفقير وان يقيل من يستقيله — (اى يرضي برد بضاعته عليه اذا لم يرضها المشترى) .

ومن وصية حكيم لابن له تاجر : يابنى اذا انتبهت من نومك وعملت بما أمرتك به العلماء وصليت الواجب عليك ومضيت متوجهاً الى دكانك لطاب المعاش وفتحت الدكان فسم الله تعالى فاذا انتصبت فى مكانك فاخرج الميزان وامسح كفتيها مما علاها من الوسخ وحررها ليكون صحيحاً وامسح الصنجات واعتبرها رأس كل شهر وان كان كل اسبوع كان أصلح فاذا جاءك انسان فأكرمه على حسب مقداره بل ازيد وأكظم غيظك وغض بصرك عن جارك واقنع فى كسبك واقتصد فى نفقتك وبادر بالصدقة وشرف نفسك عن الاندلاق على الزبون فانه يستنذلك(١) واتكل على الله فما كان لك سيصلك ولا تتهاون فى طلب الرزق ولا تكثر منه فان الاهمال يوجب الفقر والاكثار يوجب الذلة والتعب ولا تخرج من بيتك الا وأهل بيتك راضون عنك داعون لك ولا تعاد أحداً من خلق الله تعالى وان اتفق بغير اختيارك معاداة أحد فتلافاه ودار بمالك عن عرضك وأنت تعلم وسالم الايام والناس تسلم ولا تمدن عينيك الى النساء وان نظرت فلا تفكر ولا تضحك فى وجههن فيطمعن ويتوهمن امراً آخر وأنت برىء منه وخالط الاخيار تدعى خيراً وتكتسب من حركاتهم ولا تعاشر الاشرار فتتعلم منهم كما قيل

(١) الاندلاق الاندفاع كما فى القاموس . والزبون مساوم السلعة فى عرف العامة وقوله يستنذلك اى يعدك نذلا . والنذل الخسيس والمحتقر كما فى القاموس .

وقارن اذا قارنت حراً فانما * يزين ويزرى بالفتى قرناؤه

واجعل القرناء غلمانك بالعطاء وأصدقاءك بالهدية وأقاربك بالتودد ولا تكثر الكلام فى البيع والشراء وزن كلامك قبل أن يخرج من فيك وافتقد الاوعية والدكان فى كل شهر مرة أو مرتين ان قدرت فان افتقاد التاجر دكانه كمطالعة العالم كتابه فكما أن المطالعة تذكر الانسان بما سهى عنه كذلك الافتقاد يظهر للانسان حاجة كانت غائبة عنه أو فساد شئ فيصلحه *

واهم ما يوصى به التاجر ويؤكد عليه به هو اجتناب الغش ويكفي فى كونه معصية كبيرة حديث : « من غشنا فليس منا » وأما اضراره ونتائجه السيئة فلا تحصى *

جاء فى الدروس الحكمية مانصه (١) ان الغش الذميم مرض ينهك قوى المجتمعات ويذهب بحياة الشعوب وذلك أن من غش ببخس الوزن أو تغيير الصنف بأدنى منه او دفع الثمن نقوداً زائفة فقد تعمد تنقيص العوض المستحق قبله ومن تعمد ذلك فهو ظالم غاش بل سارق محتال وربما كان أضل وأشقى فان مرتكب جناية السرقة قد يدفعه فقر وحاجة وذاك مرتكب جناية لم يدفعه اليها سوى طمع النفس وحبها للظلم فكان أظلم وأحق بالملامة والذم وعمله هادم لاعظم ركن من اركان الاجتماع المدنى وهو الثقة التى يتوقف عليها نظام سير المعاملات

(١) لصديقنا الفاضل رفيق بك العظم *

الدنيوية وبفقدها وقوف دولاب التجارة فتبور الصنائع وتقل المكاسب فيحتال الناس على أسباب المعيشة ويتهالكون على تحصيل القوت من غير طرقه الشرعية فتفسد أخلاق الامة وتنحط لقلة العمل مداركها وينتهى ذلك بضعف قوتها وتفريق مجتمعها فالمقدم على الغش يضر بأبناء جنسه بماشرحناو بنفسه ايضاً لما أن ثروة الفرد فى كل مجتمع انما ترتبط بثروة الباقين فمتى قلت الثروة عند المجموع فانها تقل طبعاً عند الفرد وأحسن دواء له محاسبة المرء نفسه فى معاملته مع الناس ومراقبته لله تعالى فى ذلك بحيث يكون له من نفسه داع يدعوه الى تقوى الله ومعاملة خلقه بالعدل *

(١١) ﴿ أدب الزراعة ﴾

لا أحد يجهل ما للزراعة من المنافع لابناء النوع الانسانى وذلك باستحصال ما اودع فى كبد الغبراء من الاسرار الطبيعية التى اوجدها مدبر الكائنات ليعم النفع بها وتتبادلها الافراد وتقوم المصالح وتسير الامم سيراً حسناً بما تسلكه من سبيل الجد والاجتهاد *

ما رقت الزراعة فى امة الا ورتعت فى ظل ظليل من العيش وتوكأت على ارائك السعادة واصبحت فى امان واطمئنان من العوارض فلا تنتابها ايدى الضنك والضيق اللهم الا ما جرى بالسنة الكونية . كيف لا ولا ترى حاجة من الحاجيات الجسمية من مأكل وملبس الا ولها علاقة بالزراعة بل لاحياة لهذا المجتمع ولاقوام له الا بما يهدى اليه نور العقل

لاستخراج مكنونات هذه الطبيعة *

انظر الى هـذه المنسوجات من صوف وحرير وقطن وغير ذلك ثم ابحث عن منشئها بدقة وامعان ألست تراها من محصول الارض التي استنتجتها الزراعة واستخرجتها لنا ، اليست تلك الفوائد والاسرار من الزراعة بواسطة صرف العقل فيما خلق له *

اذن اذا رقت الزراعة ونمت وأتت من كل زوج بهيج رقينا ونمت أمتنا واذا كانت بهذه المثابة فما السبب الذى يصلح أحوالها *

لا مشاحة فى انه اذا درسنا فنونها وسلكنا سبيل قوانينها ونظاماتها علمياً ثم رجعنا لانفسنا وطبقنا العلم على العمل ـ والزراعة علم عملىّ ـ نجحنا فى أمورنا وسمونا كما سمت جاراتنا من الامم التى فازت بالقدح المعلىّ فى سائر أنواع الزراعة *

نعم ان بين ظهرانينا تلك القوانين والعلوم والفنون ولـكن أمامنا عقبات حالت دون ان نلم بمجموعها ونفوذ منها بالمقصود وذلك لاسباب شتى أهمها . جهل بعض اناس اتخذوا هذه الـكلمة « القديم على قدمه » دستوراً لاحوالهم الاجتماعيـة وقاعدة فى جميع خصوصياتهم وطرحوا ما يدعو اليه هذا العصر من النظر فى العلوم والفنون لتدبير شئونهم وعودوا على ما توارثوه من كيفية الحراثة والفـلاحة ومعرفة التراب والاشجار وما يتعلق بهـا فى حين أن الزراعة اليوم بلغت من الرقي مبلغاً عظيما *

أما ومن عنى بدرس الزراعة وطبق العلم على العمل . فاستجلب الادوات المهمة فقد يؤمل من وراء سعيه هذا أن يربح ربحاً وفيراً وأصبح رجلا خبيراً ذا معرفة بأراضيه مما نتج له فوائد متعددة *

خذ لك مثالا سهل التناول وهو أن الارض الذى تستحصل مرة واحدة فى السنة يمكن لك بواسطة ما قدمنا أن تستثمرها ثانية وتجنى أثمارها الشهية التى ما كانت تخطر لك على بال *

واليك مثالا آخر : ربما توجد أرض مهملة متروكة سنين وأعواماً يظنها من ليس له اطلاع على فنون الزراعة انها عقيمة لا تثمر أبداً فى حين انه اذا كان له أدنى خبرة باصلاح الارض يمكن أن يجعلها قابلة للفلاحة والحراثة فى أقرب وقت *

وقد تعرض لبعض النباتات والاشجار عوارض من الامراض جراثيم تعلق وتثبت فى غضون تلك الغصون يخالها من قصر نظره وعول على الوراثة انها ستتلف ولا تتلافى ويدعها على طبيعتها حتى تستحكم فيها الامراض . وآنئذ تتلف حقيقة فلو أنه اعتنى بدرس طبائع النباتات فاتخذ لها من الاسباب ما يحفظها لهلكت تلك الجراثيم قبل أن تتأصل ودرئت الامراض قبل ان تتمكن . وقس على ذلك بقية الامور الزراعية التى متى روعيت آدابها بدرس فنونها ـ نمت وثبتت وغدا اصلها ثابت وفرعها فى السماء فعلى من يشتغل بالزراعة والذى ليس له المام ان يستدعى رجلا مخرجاً من احدى المدارس الزراعية المهمة ويعمل بما

يشير اليه لتكثر المحصولات وتنتشر بين العالم * وتزداد حسن الفوائد والعوائد وبالله التوفيق .

(١٢) ﴿ أدب الصناعة ﴾

يقول بعض النصحاء : ان صناعتنا فى الوقت الحاضر لايعوزها الا ان تمت بصلة الى النهضة العامة الحاضرة وتخضع لنواميس التجربة ومصادمة الحوادث وجهاً لوجه فان تأثرها بها خسارة وربحاً وانحطاطاً ورقياً اقرب الطرق لوصولها الى النجاح المنشود من سد حاجة البلد وحل مسألتها نهائياً لذلك ارى من الصواب وضع البذرة الاولى لرقي الصناعة الوطنيه بتنبيه الجمهور الى مافى الصناعة الوطنية الموجودة الآن من جمال خاص بها واتقان لاسبيل لانكار درجته العالية من الاعتبار . كما ارى ان الكتابة على صفحات الجرائد فى هذا الباب لاتكفى وحدها للوصول الى الغرض المطلوب من حماية صناعتنا اولا وتشجيع صانعيها ثانياً بل اري اولى من ذلك ان تكون النهضة فعلية وذلك لايتم الا بتوجيه نظر الاصدقاء واصدقاء الاصدقاء الى وجوب دعوة الجمهور بطريق المجالس العامة والخاصة والمؤتمرات الى ذلك الواجب الوطنى الكبير واجب تعضيد الصناعة الوطنية بقصر الشراء عليها فيما تقوم به انواعها الموجودة الآن من حاجاتنا الضرورية والكمالية *

ان تأخر صناعتنا عن مساواة الصناعة الاجنبية راجع باللوم علينا (اولا) لاهمالنا اياها كل الاهمال (وثانياً) لتفضيلنا في كثير من الاحيان

مالا يفضلها في الجودة والجمال الفنى من المصنوعات الاجنبية عليها لمجرد انها اجنبية (ثالثاً) لان البيوت المشتغلة الآن بالصناعة الوطنية لايمكن اعتبارها بيوتاً كبيرة ترهق السوق بكثرة محصولها فانها صغيرة جدا ومصنوعاتها لا تكاد تظهر من بين اكداس البضائع الاجنبية الا كما تظهر حبة الرمل فى تل عال (رابعاً) لان مصنوعاتنا رخيصة لعلو درجتها في الاتقان وقلة ثمنها بالنسبة للبضائع الاجنبية فمن السهل احتمالها بما لا يرهق السوق ولاجيب المشترى كما تم بتوجيه نظر الصناع أنفسهم الى أنه من العبث جمودهم على ما ورثوا من اسرار صناعتهم عن الآباء والجدود في الوقت الذى يتقدم فيه كل شئ بقدم ثابتة فى سبيل الرقى فان ذلك لا يؤول الا بالقضاء الاخير على مصنوعاتنا فمن الواجب عليهم اذن ان يبحثوا عن اسباب الرقي وادخال التحسينات بعد عمل التجارب المنتجة *

ومن رأى ناصح آخران الصناعة فى البلاد الشرقية تحتاج لترقيتها الي امور (اولا) حماية الصناعة الوطنية ما امكن الحماية من مزاحمة الصناعات الاجنبية (ثانياً) ترغيب الشركات الغنية بالعلم والمال فى تعدين المعادن وانشاء المزارع الواسعه لانبات القطن والكتان وغير ذلك من حاجات الصناعة (ثالثاً) ان يكون كبار الحكام قدوة فى استعمال المصنوعات الوطنية للباس وفرش المنازل فيقتدى بهم الاهالي وتروج اذ ذاك الصناعة الوطنية ويرغب بها الصناع واذا وجد ان مكاسبهم توفرت

تفننوا فى اتقانها وتحسينها وترقيتها . (رابعاً) ان تهتم الحكومة وبلديات المدن الكبرى بانتقاء افراد قلائل ينتخبون ممن امتازوا بالذكاء والثبات والميل الطبيعى الى احد الصناعات فيرسل هؤلاء المنتخبون الى اشهر مدارس الصناعة فى اوربا حتى اذا احرزوا نصيباً وافراً عادوا الى البلاد وتولواهم تدريب الشعب سواء فى مدارس صناعية تنشئها الحكومة او الشعب او فى معامل يشيدها شركات من الاغنياء الموسرين إه

(١٣) ﴿ أدب المسجد ﴾

على داخله ان يلزم نفسه ذكر الله تعالى وتسبيحه واقامة شعائر دينه ويجتنب فيه اللغو بالباطل والسجود على عتبة ضريح فيه والطواف حوله وتقبيل حيطانه أو عمده أو مقاصيره (١) لانه لاطواف الاحول الكعبة ولاملتمس الاركنها ولامقبل الاحجرها الاسود الكريم وعليه أيضاً اذا رأى حلقة علم ان يجلس اليها واذا دخله للصلاة فليجلس في صفوف المتعبدين ويستنزل بتذلله رحمة ارحم الراحمين . وينبغى صونه عن وسخ ومخاط وتقليم اظفار وقص شارب وحلق رأس وعن رائحة كريهة من بصل وثوم ولايقربه آكل ذلك وكذا متناول كل مايؤذى ريحه حتى يذهب منه . ويحظر فيه البيع والشراء والتكسب فيه بصنعة كخياطة

---

(١) ذكر حجة الاسلام عليه الرحمة والرضوان فى آخر كتاب الحج قبيل كتاب آداب تلاوة القرآن من احيائه ان المس والتقبيل للمشاهدة عادة النصارى واليهود . وذكر فى آداب زيارة المدينة كما قدمنا انه ليس من السنة ان يمس جدار الحجرة ولا ان يقبله إه فاجدر بغيره ❊

وغيرها واتخاذه مكاناً للمعائش ويصان من صغير لا يميز ومجنون ولغط وخصومة ويمنع فيه اختلاط الرجل بالنساء وزخرفته بما يلهى المصلى. ويكره فيه الخوض والفضول وحديث الدنيا ولمن اكل فيه أن يجتنب تلويث حصره وان ينظف ما لوثه ولمن يعلم فيه أو يتعلم أو يذكر أن يجتنب رفع الصوت وينبغى تعهده بالكنس وتجميره والايقاد فيه بالمعروف ومما يتعين على خدمة المساجد أن يتعهدوها بالنظافة وفتح نوافذها وشبابيكها على المدى فان الهواء الفاسد فيهامن انفاس الجلاس يسبب أخطاراً جسيمة من الصداع وضيق النفس وذلك لانه يحتوى على غازات من أجسادهم ورئاتهم وهى مواد سامة فيلزم أن تفتح الابواب والنوافذ لكى يتجدد الهواء فى أطرافها كلها والشقوق الموجودة فى الابواب لا تكفي لذلك. وهكذا يقال فى كل مجتمع للناس وفي كل غرفة صغيرة يسكنها جماعة فيجب تجديد هوائها فى كل برهة ويجب على ذوى اليسار أن يلموا شعث المساجد ويتعاونوا على عمارتها. ويتفقدوها على المدى. وما ابلغ ما كتبه شمس البلغاء الخوارزمى الى فقيه فى تعهد مسجد وهو بنصه الفائق :

أحق الاماكن بأن يصان ولايهان واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال ويرفع عن ان تتناوله يد الابتذال مكان بني ليجمع شمل التعبد ويضم نشر التهجد وترفع منه الحوائج الى من لايضجر من السؤال ولايتبرم بكثرة التسآل وهو الكبير المتعال فان صيانة هذا المكان

صيانة الدين بل صيانة الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين - وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله ومظنة لقراءة وحى الله تصف فيه الاقدام بين يدى الله ويتميز فيه اولياء الله من اعداء الله وهو من « بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » وهو مسكن من مساكن الابرار ومجلس من مجالس الاخيار وحصن من حصون المسلمين على الكفار وجسر بين الجنة والنار. دخوله عبادة والمقام به سعادة والاعتكاف فيه سنة مستحسنة لا يأوى اليه كافر ولا يقربه الا طاهر من عمره عمر طريق الآخرة ومن بناه بنى له بيت فى الجنة وبلغنى ما انت فيه من بناء مسجد محلتك ضاعف الله عليه ثوابك واكرم مآبك ورضى عنك وتقبل منك فتوسع رحمك الله فى نفقتك فانما تعامل وتسلف كريما سخيا ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب وانما يوفى المحسن اجره بغير حساب وتذكر قول الله تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »

(١٤) ﴿ زمن الفراغ ﴾

يلزم فى اوقات الفراغ من العمل قراءة كتب الآداب والحكم ومطالعة الصحف والمجلات العصرية والمذاكرة فى الاندية بالمباحث العلمية والاقتصادية مما يفيد تبادل الافكار فيه وتلذ المناقشة به كل ذلك ضناً على الوقت ان يبذل فى سبيل اللهو واللغو والاحاديث التافهة وانهاضاً للفكر ليجول فى ميادين المنورات والمبصرات ويقتطف ثمار المعارف اليانعات

« خاتمة فى متممات »

(١) ﴿ واجبات الحريص على الفضائل ﴾

اذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يأنس بغيرهم ولا يجالس سواهم ويحذر كل الحذر من معاشرة اهل الشر والمجون والمجاهرين بركوب الفواحش المنهمكين فيها ولا يصغى الى اخبارهم مستطيباً ولا يروى اشعارهم مستحسناً ولا يحضر مجالسهم ميهجاً وذلك ان حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم يتعلق من وضره ووسخه بالنفس مالا يغسل عنها الا بالزمان الطويل والعلاج الصعب وربما كان سبباً لفساد الفاضل المحنك والعلة فى ذلك ان محبة اللذات البدنية والراحات الجسمية طبيعة للانسان لاجل النقائص التى فيه فهو بالجبلة والفطرة السابقة يميل اليها ويحرص عليها وانما يزم نفسه عنها بزمام العقل حتى يقف عندما يرسم له ويقتصر على المقدار الضرورى منها *

(٢) ﴿ تعهد النفس بمراقبتها ﴾

معلوم ان قوى النفس الانسانية مفتقرة دائماً الى تعهدها بالتربية والتثقف فالارض مثلا لا تخرج ما فى ارحامها الا بالفلاحة وهى لا تكون

الا بآلات خاصة بها واسباب تهيؤها والكتابة لاتكون الا بأدوات خاصة بها كالقلم وتوابعه .

أما هذه الادوات في التربية فهى عبارة عن العلم الصحيح والمعلم الكامل والاخلاق المهذبة وحسن الاسوة من الاهل والاقران واحكام المراقبة التى يكون بها اجتناب كل مايخل بالادب والكمال مع تعهد يستمر فى تقويم الطباع المتأصلة والعقائد الموروثة الى الصحيح السالم منها * وبديهى ان التربية بهذا المعنى تشمل الوقوف عند حدود الاوامر والنواهى الشرعية بعد معرفة الحلال والحرام ومقاومة الشهوات النفسانية وصرف قواها الى صالح الاعمال الكافلة لسعادة الانسان فى معاشه ومعاده . لهذا ترى الامم العاملة على اعلاء مجدها تصرف عنايتها فى نشر العلوم النافعة وبث افكارها فى عقول بنيها على يد اساتذة كرام من صفوتها ادباً ودينا وعلماً واخلاقا ليكونوا امناء على المتعلمين . قال بعض الحكماء لولده يابنى : اعلم ان العز فى طاعة الله والذل فى معصية الله والناس يتفاضلون بالعقل ويتميزون بالعلم ويتفاوتون بالعمل ويسودون بالحلم فعليك فى دينك بالازدياد وفى دنياك بالاقتصاد * وقال آخر : اعلم ايها الناشئ انك اليوم طفل وبعد مدة تصير رجلا عليك مدار كثير من الاعمال ولك اولاد واهل تقوم بنفقتهم وارزاقهم فاحفظ ماتتعلمه فى صغرك ينفعك فى كبرك فالولد المهذب هو الذى يسعى وراء مايعود عليه بالفائدة وعلى امته بما يكفل لهم السعادة —

(٣) ﴿ وصايا الحكيم المستعصمي ﴾

قال الحكيم المستعصمي : يجب على المعتني باصلاح اخلاقه مراعاة هذه الامور (١) ان يغتنم الحياة التي بها فارق الاموات والجماد فيصرف زمانه في المهم دون غيره (٢) ان يحفظ وقته فقد قيل : « ان امرأ ذهبت من عمره ساعة لحرى ان تطول حسرته عليها » (٣) ان يكون متفقداً لجميع اخلاقه متيقظاً لسائر احواله منتقصاً لمذموم عاداته (٤) ان يكون ابداً عاشقاً لصورة الكمال مستلذاً محاسن الاخلاق ومحمودها (٥) ان يعتني بتهذيب نفسه فلا يستكثر ما يقتنيه من الفضائل والعلوم النافعة (٦) ان يكون مستصغراً للتربية العليا طالباً غايتها بجهده جاعلا غرضه الاحاطة بها (٧) ان لا يقف عند غاية من العلم الا ويومئ بطرفه الى ما فوقها ليزداد بصيرة (٨) : ان يأخذ نفسه باوامر الله ورسوله وأولى الامر من بعده سيؤدبها بآدابهم (٩) : ان يسدد طرفاً من علم اللسان ويعتني بالبلاغة والفصاحة والكتابة والدرس (١٠) : ان يجعل لشهواته قانوناً راتباً يقصد فيه الاعتدال ويجتنب الاسراف (١١) : ان يقمع ابداً سورة القوتين الغضبية والشهوانية ويستعمل قوة العقل عليهما (١٢) ان يجتنب محاكاة الغير بالكلام واستعمال السفه بالالفاظ القبيحة ويترك الحلف (١٣) : ان يكون سهل اللقاء والبشر والتسليم سابقاً به بعيداً من الاشرار مستعملا القصد في كل اموره (١٤) : ان يجتنب مخاطبة النساء والصبيان والعامة والسفهاء ويلازم الصمت عما لا ينبغي (١٥) : ان يحترز

من دخول النقص عليه وليجتهد في بلوغه غاية الكمال .

(٤) ﴿ ثمرة التأدب بمكارم الأخلاق ﴾

اوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الادب اكرم الجواهر طبيعة وانفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجميلة ويعز بلا عشيرة ويكثر الانصار لغير ذرية فالبسوه حلة وتزينوه حلية يؤنسكم فى الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة . قال الشاعر

ما وهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فان فقدا * فان فقد الحياة احسن به

واوصى آخر ابنه فقال : يابنى الادب دعامة ايد الله بها الالباب وحلية زين بها عواطل الاحساب فالعاقل لايستغني وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته كما لا يستغنى الارض وان عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها *

وقال ابن المقفع : مانحن الى ماتتقوى به حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا الى الادب الذى هو لقاح عقولنا فان الحبة المدفونة فى الثرى لاتقدر ان تطلع زهرتها ونضرتها الا بالماء الذى يعود عليها من مستودعها

وقال آخر : الشرف كل الشرف والفضل كل الفضل ان تفخر بعملك الطيب فهو الذى يجعلك غرة فى جبين اسرتك ودرة فى جيد بيئتك ويصيرك نادرة زمانك وجوهرة ايامك *

﴿ مسك الختام ﴾

« فى مختارات أبيات يعهد الى المتأدب بحفظها »

من سنة المؤدبين المتقدمين أن يأخذوا على المتأدبين حفظ مختارات من الشعر قصائد ومقاطيع وشواهد * ولما كان كتابنا هذا لا يتسع الا للشواهد التى لا غنى بالمتأدب عنها أوردنا منها مختارات على ترتيب حروف الهجاء صدراً وعجزاً ثلاثاً ثلاثاً فيحسن بالمتعلم أن يستظهرها ويدل على فطانته بالاستشهاد بها فى مواطنها وعليه بعدها أن يراجع دواوين الشعراء ويستظهر أبدع ما نسجوه وأبلغ ما نظموه فيكمل أدبه وتعلو رتبته *

« حرف الهمزة »

إبدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق
أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الانسان احسان

***

اذا صاحبت فى أيام بؤس * فلا تنس المودة فى الرخاء
وهبنى قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء
اذا ما الحر أجدب فى زمان * فعفته له زاد وماء

(حرف الباء)

بادر الى الفرصة وانهض لما * تريد فيها فهى لا تلبث
بالرفق مارس ولاين من تخالطه * تربح وغالظ اذا لم ينفع اللين
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

***

ولست بمستبق أخاً لا تلمه * على سعث أى الرجال المهذب
سعى رجال فنالوا قدر سعيهم * لم يأت رزق بلاسعى ولا طلب
فهم يطفئون المجد والله واقد * وهم ينقصون الفضل والله واهب

(حرف التاء)

تأمل سطور الكائنات فانها * من الملأ الاعلى اليك رسائل
تبدى عيونهم ما فى قلوبهم * والعين تظهر ما فى القلب أو تصف
تعلم فليس المرء يولد عالماً * وليس أخو علم كمن هو جاهل

***

فلا تسأل المرء عن سنه * ولا ماله واخش أن تعنتا
نظرت الى الاربعون فأصرخت * شيبي وهزت للحنو قناتى
ومن الاقارب من يسر بميتتى * سفهاً وغر حياتهم بحياتي

(حرف الثاء)

ثراء المال يفنى بعد حين * وتبقى الباقيات الصالحات

ثلاثة ليس بها اشتراك * المشط والمرآة والسواك
ثوب الرياء يشف عما تحته * فاذا اكتسيت به فانك عارى

***

من أحسن الدهر وقتاً ساعة سلمت * من الشرور وفيها صاحب حدث
وليس يأمن قوم شر دهرهم * حتى يحلوا ببطن الارض أجداثا
بئس الاخلاء ليس البر شيمتهم * لو بر مقسمهم يوماً غدا حنثا

(حرف الجيم)

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان
جزى الله الشدائد كل خير * عرفت بها عدوى من صديقى
جود الفتى يكفيك تسآله * والعدم خير من سؤال البخيل

***

وانى لأحمى الجار فى كل ذلة * وأفرح بالضيف المقيم وأبهج
رويدك فالهموم لها رتاج * ومن كثب يكون لها انفراج
خذوا فى سبيل العقل تهدوا بهديه * ولا يرجون غير المهيمن راج

(حرف الحاء)

حب السلامة يثنى عزم صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
حسب الفتى أن يكون ذا حسب * من نفسه ليس حسبه حسبه
حسن الحضارة مجلوب بتطرية * وفى البداوة حسن غير مجلوب

***

وأيسر من كفي اذا ماممددتها * لنيل عطاء مد عنق لذابح
اذا رمتك من الرجال قوارص * فسهام ذى القربى القريبة أجرح
أسني فعالك ما أردت بفعله * رشداً وخير كلامك التسبيح

(حرف الخاء)

خلق اللسان لنطقه وبيانه * لا للسكوت وذاك حظ الاحرس
خليلي ليس الرأى فى صدر واحد * أشيرا على اليوم ما تريان
خليلي لا والله ما من ملمة * تدوم على حى وان هى جلت

***

وهمى همتى فى دار دنيا * بوضع مآثر تتلى لناسخ
تنسكت بعد الاربعين ضرورة * ولم يبق الا أن تقوم الصوارخ
أحسن بهذا الشرع من ملة * يثبت لا ينسخ فيما نسخ

(حرف الدال)

دع التكاسل فى الخيرات تطلبها * فليس يسعد بالخيرات كسلان
دع مايريب لامر لا ارتياب به * بذاك أوصى البرايا سيد البشر
دعاكم الى خير الامور محمد * وليس العوالى فى القنا كالسوافل

***

أقلد وحدى فليبرهن مفندى * فما أضيع البرهان عند المقلد

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
ومن عاش بين الناس لم يخل من أذى * بما قال واش أو تكلم حاسد

(حرف الذال)

ذريني أنل مالا ينال من العلا * فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
ذريني فان البخل لا يخلد الفتى * ولا يهلك المعروف من هو فاعله
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغال

***

خل السرور لمن يغرّ به * واعبد الهك واحداً فذاً
نبذتم الاديان من خلفكم * وليس فى الحكمة أن تنبذا
ترى المرء جبار الحياة وان دنت * منيته ألفيته وهو مستخذى

(حرف الراء)

رأيت العز فى أدب وعقل * وفى الجهل المذلة والهوان
رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهموا داء الفساد اذا فسد
رضا الذليل بخفض العيش منقصة * والعز عند رسيم الانيق الذلل

***

كأن فؤادى من تذكره الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر
سموت الى العلا وعلوت حتى * رأيت النجم تحتى وهو يجرى
انى أوارى خلتى فأريهم * رياً وفى سر الفؤاد أوار

(حرف الزاى)

زن القول من قبل الكلام فانما * يدل على قدر العقول التكلم
زيادة المرء فى دنياه نقصان * وربحه غير محض الخير حسران
زين أخاك بحسن وصفك فضله * وأذع لما يأتى من الحسنات

***

لاترض وعداً ان قدرت على ندى * واذا وعدت فيسر الانجازا
وليس على الحقائق كل قولى * ولكن فيه أصناف المجاز
وعدتنا الايام كل عجيب * وتلون الوعود بالانجاز

(حرف السين)

ساعد صديقك فى أمر يحاوله * فالحر للحر معوان على الزمن
سافر تجد عوضاً ممن تفارقه * وانصب فان اكتساب المجد فى النصب
سيذكرنى قومي اذا جد جدهم * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

***

فما كل من يشرى القنا يطعن العدا * ولا كل من يلتى الرجال بفارس
يضيق مكانى عن سواى لاننى * على قمة المجد المؤثل جالس
زرت القبور فما آنست من شبح * هيهات أوحش خل بعد ايناس

(حرف الشين)

شاور سواك اذا نابتك مشكلة * يوماً وان كنت من أهل المشورات

شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضى
شهوات الانسان تكسبه الذلّ * وتلقيه فى البلاء الطويل

***

سل الليل عنى هل أذوق رقاده * وهل لضلوعى مستقر على فرشى
ألقى صدور الخيل وهى عوابس * وأنا ضحوك نحوها وبشوش
أرى حسن البقاء لمن يرجى * فلاحاً أو به رجل يعيش

(حرف الصاد)

صاحب البغى ليس يسلم منه * وعلى نفسه بغى كل باغ
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
صديقك من يراعاك عند شديدة * فكل تراه فى الرخاء مراعيا

***

تواصوا ببذل العرف بل بعثتهم * عليه سجاياهم بغير تواص
من طال فوق منتهى بسطته * أعجزه نيل الدنى بله القصا
لقد حرصوا على الدنيا فبادوا * فلا تك فى الحياة من الحراص

(حرف الضاد)

ضجر الفتى في الحادثات مذمة * والصبر أليق بالرجال وأوفق
ضدان لما استجمعا حسنا * والضد يظهر حسنه الضد
ضياع العمر في عبث ولهو * ضلال لا يشابهه ضلال

***

ومكائد لي بالمغيب رميته * بصريمة كالنجم في منقضه
من معشر بذلوا النفوس سماحة * وحموا بيوت المجد أن تتقوضا
وخذ لنفسك من عمر تضيعه * جزأ ولا ترسلن الامر تفويضا

« حرف الطاء »

طبع الفتى يصلح بالتطبع * فاعرف طباع الصالحين واتبع
طلب الاماني بالتواني خلة * لا يلحق العلياء باع مقصر
طمع الفتى ذل وعفة نفسه * عز وكم شره يجر الى شرك

***

كأن دنياك ماء حوض * آخره آجن خبيط
من لك بالمهذب الندب الذى * لا يجد العيب اليه مختطى
فجد بعرف ولو بالنذر محتسباً * ان القناطير تحوى بالقراريط

« حرف الظاء »

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها * وعدوا مصالحها وهم أجراؤها
ظن الحسود بنا الظنون وكيده * في نحره فالله خير حافظا
ظهور العدل يمحو كل شر * اذا جاء الصباح مضى الظلام

***

من الناس من لفظه لؤلؤ * يبادره اللفظ اذ يلفظ

وبعضهم قوله كالحصا * يقال فيلغى ولا يحفظ
ومن البرية من يعيب بجهله * أهل السنات وليس بالمتيقظ

(حرف العين)

عادات هذا الدهر ذم مفضل * وملام مقدام وعذل جواد
عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد
على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

***

وذكر بالتقى نفراً غضولا * فلولا السقى ما نمت الزروع
كابد الاهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا
ظنوا وميض البرق بارق نجعة * ماتحت كل وميض برق مرتع

(حرف الغين)

غضب الكريم وان تأجج ناره * كدخان عود ليس فيه سواد
غفلة المرء عن دواعى المعالى * من دواعى تحلف الآمال
غير مجد فى ملتى واعتقادى * صوت باك ولا ترنم شادى

***

عدّ عن شارب كاس أسكرت * فهو مثل الكلب فى الرجس ولغ
وأروح الرزق ماوافاك فى دعة * حلا وقسم فى أيامه بلغا
لنا فى العلا نفس تعز بربها * وقلب بغير الفكر والشكر فارغ

(حرف الفاء)

فأتمم ما بدأت به وأنعم * فما المعروف الا بالتمام
فقل لمرجى معالى الامور * بغير اجتهاد طلبت المحالا
فؤاد الفتى نصف ونصف لسانه * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

***

وان يعيبوا سواداً قد كسيت به * فالدر يستره ثوباً من الصدف
ينجمون وما يدرون لو سئلوا * عن البعوضة أنى منهم تقف
لك الخير قد وفيت جودك فرضه * ومن بذل المجهود فى شكره وفى

(حرف القاف)

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع
قد قضى ما عليه من بلغ الجهـ * ـد وان لم يصل الى ما أرادا
قيمة كل امرىء تراه * ما يقتنيه من العلوم

***

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درأ يعود من الحياء عقيقا
لا أطمئن ولا أتوق الى هوى * ولكل حى فى الحياة متاق
وسيحذر الدعوى اللبيب فانها * للفضل مهلكة وخطب موبق

(حرف الكاف)

كفى حزناً أن الجواد مقتر * عليه ولا معروف عند بخيل

كل امرئ راجع يوماً لشيمته * وان تمتع أخلاقاً الى حين
كل من فى الوجود يطلب صيداً * غير أن الشباك مختلفات

***

كيف السلوّ وما سمعت حمائماً * يندبن الا كنت اول باك
والعين تبصر اين حبتها * لكنها تعمى عن الشرك
جهل الديانة من اذا عرضت له * أطماعه لم يلف بالمتماسك

(حرف اللام)

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
للبكاء النساء عند الرزايا * ولحسن العزاء فيها الرجال
لها فى طرفها لحظات حتف * تميت بها وتحيي من تريد

***

ألا أيها القلب اللجوج المعذل * أفق عن طلاب البيض ان كنت تعقل
ولى فى كل معركة حديث * اذا سمعت به الابطال ذلوا
فجنب الزهو فى الدنيا فلو زهيت * غرّ الغمام لذل القطر اذ نزلا

(حرف الميم)

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك هادم
من لم يقف عند انتهاء قدره * تقاصرت عنه فسيحات الخطا
من ضيع الحزم جنى لنفسه * ندامة ألذع من سفع الذكا

***

أرى ألف بان لا يقوم بهادم * فكيف ببان خلفه ألف هادم
وكيف يطيق الصب كتمان سره * وهل يكتم الوجد امرء وهو مغرم
وما الفضل فى أهل الشرا بيش سبة * وما الفضل محصوراً بأهل العمائم

(حرف النون)

نافس على الخيرات أهل العلا * فانما الدنيا أحاديث
نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما
نهيتك لا تعجل بعتب لصاحب * لعل له عذراً وأنت تلوم

***

فكم يشكو كريم من لئيم * وكم يلقى هجان من هجين
لو كانت الخمر خلا ما سمحت بها * لنفسى الدهر لا سراً ولا علنا
لقد يهوى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان

(حرف الهاء)

هذى الحياة مسافة فاصبر لها * كيما تبين وأنت غير ملوم
هذا البياض رسول الموت يبعثه * فى كل عصر الى الاجيال والامم
هي الراح أهلا لطول الهجاء * وان خصها معشر بالمدح

***

والليل سيف الفجر فى فرقه * يقتله والديك ينعاه

اشبهت فى العلياء جدك أحمدا * ان الاكارم فى العلا أشباه
أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا * خيراً أسروه أو شراً أذاعوه

(حرف الواو)

واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان
وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا
وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

***

وجدت الرفق أبلغ في السمو * ولم أر كالتواضع فى العلو
اذا أهلت ديار من أناس * فسوف يمسها منهم خلو
وما أنا يائس من عفو ربى * على ما كان من عمد وسهو

(حرف لام الف)

لا تجد بالعطاء فى غير حق * ليس فى منع غير ذى الحق بخل
لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة * والجد تعلو به بين الورى القيم
لا تجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج من منظر حسن

***

عركت نوائب الايام حتى * رأيت كثيرها عندى قليلا
وسائلين بحالى كيف صورتها * فقلت قد نطقت حالى لمن عقلا
واذا أذلت النفس في طلب العلا * فلتلفين لما ملكت مذيلا

(حرف الياء)

يقولون لى فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
يأبى الفتى الا اتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح
يعيبون لونى بالسواد جهالة * ولولا سواد الليل ماطلع الفجر
تروم شفاء ما الاقوام فيه * رويدك ان داء القوم اعيى
دعانى بالحياة اخو وداد * لعمرك انما تدعو غوياً
اذا الانسان كف الشر عنى * فسقياً في الحياة له ورعياً

﴿ قال مؤلفه جزاه الله خيراً ﴾

هذا ماقدّر لنا جمعه داعين ان يعم نفعه فعلى المتأدب ان يحتفظ بدرره ويستظهر من غرره فان وعيه لحكمه من تمام النعمة لاسيما خواتمه المنظومة وفى الحديث « ان من الشعر لحكمه » وكان مؤلفه ابتدأ بتسويده عام (١٣٢٢) ثم اعاد النظر اليه مرات الى ان تم تبييضه فى شعبان سنة (١٣٣١) بدمشق الشام *

والحمد لله ذى الجلال والاكرام

فهرست

جوامع الأدب

فى اخلاق الأنجاب

صحيفة		صحيفة	
٢	خطبة الكتاب	٢٠	ادب المتعلم فى درسه
٣	مقدمات — معنى الخلق	٢١	ادب المتعلم مع استاذه
٤	قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة	٢٢	ادب المتعلم فى محفل الدرس
٠	مفتاح السعادة تربية الافراد على العلم والعمل	٢٥	ادب الفتى مع رفقائه فى مدرسته اومحلته
٥	حاجة العلم الى الاخلاق الفاضلة	٢٨	مكافأة المجتهدين
٦	«الباب الاول فى أدب النفس»	٠٠	مجازاة المسيئين
١٥	« الباب الثاني فى أدب الدرس وفيه مطالب	٣٠	« الباب الثالث فى الآداب المنزلية وفيه مطالب
٠٠	المدارس واساتذتها	٠٠	الادب مع الوالدين
١٦	ادب المعلم والمربى	٠٠	الادب مع الاخوة من النسب
١٩	ادب المتعلم	٣١	ادب الخدمة ومعاملتهم
		٣٣	الادب فى الزواج والسن

صحيفة		صحيفة	
٣٥	المرعىّ فيه	٥٨	ادب المشى
٣٦	ادب المرأة الايم والمتزوجة	٥٠	ادب الزيارة والزائر
٣٧	ادب معاشرة الزوجة	٥٩	ادب المزور
٣٨	ادب الفتاة	٦٠	ادب الضيف
٠٠	ادب الاطفال	٦١	ادب المضيف
٣٩	الاهتمام بتربية الطفل المنزلية	٠٠	ادب المهدى
	تدارك من يراد تربيته قبل	٦٢	ادب المهدى اليه
٠٠	تأثير الوراثة فيه	٦٢	ادب اصطناع المعروف
٤٠	العناية بتأديب الصغير	٠٠	ادب المعاشرة
٤١	آداب عامة للصغير	٦٣	ادب التكلم
	غرس الحب ورفع الاحقاد	٦٥	ادب جليس الامراء
	والاعتماد على النفس وتعلم	٦٧	ادب جليس العامة
٤٢	اللغات	٧٠	ادب النصيحة
	« الباب الرابع فى الآداب	٧٢	ادب المناظرة
٠٠	الاجتماعية	٧٤	« الباب الخامس فى القوانين
٤٣	ادب الصحبة		الصحية وتوابعها
٤٧	ادب الاصدقاء	٠٠	ادب حفظ الصحة
٠٠	ادب الجار	٧٧	ادب المسكن وتنقية الهواء
	﴿ حكايات ونوادر فى الحب	٧٩	ادب النوم
	الصادق ﴾	٨١	ادب اللباس

صحيفة

٨٢ ادب نظافة الجسم والاستحمام
٨٣ ادب الطعام
٨٤ كيفية الاكل ومدته
٨٦ ادب الشرب
٨٧ كلمة فى الدخان ومضراته
٩٠ ادب الرياضة
٩١ الالعاب الرياضية
٩٤ ادب السباحة ٩٦ ادب المريض
٩٧ ادب الطبيب ٩٨ ادب العيادة
٩٩ ادب تشييع الجنازة
٠٠ ادب المعزى (بكسر الزاى)
٠٠ ادب المعزى (بفتح الزاى)
١٠٠ ادب زيارة القبور
٠٠٠ ادب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم
١٠٢ وصية فى التشييع وما بعده
١٠٥ الباب السادس فى ادب السفر
٠٠٠ ادب المسافر
٠٠٠ ادب الركوب فى القطار
١٠٦ كلمة فى السياحة
١٠٧ الباب السابع فى آداب النفقات

صحيفة

٠٠٠ ادب النفقة المنزلية
١٠٨ النفقة على البؤساء
٠٠٠ النفقة على العلم والتربية
١١٠ حب الوطن
١١٢ ادب النائب فى مجلس المبعوثين عن الوطن
١١٧ ادب اعارة الكتب واستعارتها
﴿ المكتبات ﴾
١١٨ انتخاب الكتب للمطالعة
١١٩ كلمة فى التاريخ
١٢٠ ادب التجارة ١٢٣ ادب الزراعة
١٢٦ ادب الصناعة
١٢٨ ادب المسجد ١٣٠ زمن الفراغ
١٣١ خاتمة فى متممات — واجبات الحريص على الفضائل
٠٠٠ تعهد النفس بمراقبتها
١٣٣ وصايا الحكيم المستعصمى
١٣٥ ثمرة التأدب بمكارم الاخلاق
١٣٦ مسك الختام فى مختارات الابيات

﴿ تمت ﴾

DATE DUE

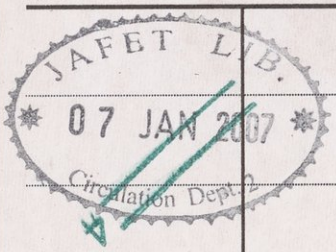

395:K19jA:c.1
القاسمي ،جمال الدين محمد بن محمد
جوامع الآداب في اخلاق الانجاب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023871

395
K19jA

SYRIAN PROTESTANT COLLEGE
LIBRARY.

395
K19jA